المشرف العام
الشيخ علي النجفي

00964780736393

N@alnajafy.com

www.alnajafy.com

الأنوار النجفية

ملحق خاص

لإحياء ذكرى شهادة بضعة

الرسول الأعظم فاطمة الزهراء (صلوات الله عليهما).

السنة (١٥) العدد : ١٨١

ربيع الثاني / جمادى الآخر

١٤٤٣ هـ

أوَ ما درى المسمارُ حين أصابها مِـن قَبلِها قلبَ النبيِّ أصابا

السيدة الزهراء عليها السلام وبقاء الإسلام والأمة.. من رؤى سماحة المرجع النجفي (دام ظله).

"سماحة المرجع النجفي: يجب على الفرد المؤمن أن يزن أعماله وأفعاله وأقواله وحركاته وسكناته بميزان رضا السيدة الزهراء (عليها السلام)، فهي ميزان رضا الله تعالى."

"سماحة المرجع النجفي: صبر بضعة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) على ما تعرضت له أنما هو لإعلاء راية الحق والصلاح."

عن النبيّ (صلى الله عليه وآله): "لو كان الحُسنُ شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، إنّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً".

كانت (سلام الله عليها) عنوان الكمال والشرف وعنصر الشرف، فهي خير النساء من الأولين والآخرين، بل هي خير الكائنات بعد أبيها وزوجها (صلوات الله عليهم أجمعين) بما فيهم الأنبياء والأوصياء والصالحون، ورد في الحديث القدسي عن الباري (عزّ اسمه): "يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما"، وعن النبيّ (صلى الله عليه وآله) في حديث طويل: "على ساق العرش مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله".

فكانت هذه السيدة الطاهرة صورة واضحة لبيان معالم الإنسان الكامل والمتكامل الذي يريده الله (سبحانه وتعالى) على أرض المعمورة، وحريٌّ بكل مؤمن ومؤمنة يعرفون الحق ويتبعونه أن يضعوا السيدة الزهراء (عليها السلام) مناراً لهم في هذه الحياة ومقياساً لمعرفة الحق والباطل من أعمالهم وأفعالهم وسلوكهم وآدابهم، فما وافق أخلاق ودين السيدة الطاهرة (عليها السلام) فهو من الدين ويقبله الله سبحانه وتعالى ويجزي عليه خير الجزاء، وإلا فهو ليس من الدين.

وهنا يقول سماحة المرجع (دام ظله): "يجب على الفرد المؤمن أن يزن أعماله وأفعاله وأقواله وحركاته وسكناته بميزان رضا السيدة الزهراء (عليها السلام)، فهي ميزان رضا الله تعالى"، ويضيف في حديثٍ آخر مع وفدٍ: "أن الزهراء (عليها السلام) المثال الأعلى، والأسمى، والأطهر، والأزكى؛ لنقتدي بها جميعاً".

وحياة هذه السيدة الطاهرة حياة خير وعطاء وطاعة. ويقول سماحة المرجع (دام ظله): (السيدة الزهراء (عليها السلام) جامعة لكل خير، وباب العطاء الذي لا ينضب، فكانت باباً من أبواب الله سبحانه وتعالى، وطريقاً يربط الإنسان بالملكوت الأعلى، وسبيلاً من سبل النجاة؛ لأنها (سلام الله عليها) كانت تمثل كلمة الله (سبحانه وتعالى) وكلمة حبيبه الرسول (صلوات الله عليه وآله).

يروى عن الحسين عن رسول الله (صلوات الله عليهما) أنه قال: (فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء ربي، وحبل ممدود بينه وبين خلقه، مَن اعتصم بهم نجا، ومَن تخلف عنهم هوى).

ويروى عن مجاهد قال: خرج النبي (صلى الله عليه وآله) وهو آخذ بيد فاطمة (عليها السلام)، فقال: (مَن عرف هذه فقد عرفها، ومَن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبيّ، فمَن آذاها فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله)، وكلامه (صلوات الله عليه وآله) كلام الله (سبحانه وتعالى)، فهو: (مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى).

فالسيدة الزهراء (عليها السلام) معصومة بالعصمة الكبرى، وهي واجبة الطاعة على جميع البشرية، بل وجميع الكائنات. عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث طويل: "ولقد كانت (عليها السلام) مفروضة الطاعة على جميع مَن خلق الله من الجنّ والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة".

ولكن السؤال المهم هو كيف تعاملت الأُمة مع هذا الخير، وهذا الباب الذي منه يؤتى الله (سبحانه وتعالى) ورضاها يعني تحقيق رضا الله سبحانه وتعالى والفوز في الدنيا والآخرة؟!

تعاملوا معها بكل قسوة وبكل جفاء وبكل حقد عرفته البشرية، فكأنما قلوبهم لم تعرف الرحمة والإنسانية، وكأنما لم يسمعوا الآيات التي نزلت بحقها وبحق زوجها وأبنائها (عليهم السلام) ومنها قوله تعالى: (قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)، وقوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)، وقوله تعالى: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ).

ولكن لماذا كل هذا الأذى بحق السيدة الطاهرة (عليها السلام)؟

والجواب: لأنها رفضت الانقلاب على الحق الذي أمر به الله (سبحانه وتعالى) وأعلنه أبوها الرسول (صلوات الله عليه وآله) في خلافة زوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) ورفضها على الجميع؛ لأنها كانت تمثل إرادة الله (سبحانه وتعالى) والضامن الوحيد لإبقاء الأمة دون انحراف.

فماذا كان موقف السيدة الزهراء (عليها السلام) من هذا الانقلاب الديني والسياسي؟

ويشير سماحته (دام ظله) "إن أعظم عمل عملت به السيدة الزهراء (عليها السلام) تجاه الدين والأمة هو إنقاذ أمير المؤمنين (عليه السلام) خليفة الله (سبحانه وتعالى) على البشرية من المنقلبين، فمع كل جراحاتها وألمها خرجت فاطمة (عليها السّلام) خلفه فما بقيت امرأة هاشميّة إلاّ خرجت معها، حتى انتهت قريباً من القبر فقالت لهم: خلّوا عن ابن عمّي، فو الذي بعث محمداً أبي (صلى الله عليه وآله) بالحقّ، إن لم تخلّوا عنه لأنشرنّ شعري، ولأضعن قميص رسول الله (صلى الله عليه وآله) على رأسي، ولأصرخنّ إلى الله تبارك وتعالى، فما صالح بأكرم على الله من أبي ولا الناقة بأكرم مني، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولديّ.

قال سلمان (رضي الله عنه): كنت قريباً منها، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) تقلّعت من أسفلها، حتّى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ، فدنوت منها فقلت: يا سيّدتي ومولاتي، إنّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمةً، فلا تكوني نقمةً.

فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها، فدخلت في خياشيمنا.

فكانت (سلام الله عليها) المحافظة على بقاء الإمامة للدين وهي المسددة والهادية للمجتمع والراشدة للصواب، ونجد أن بالحفاظ على أمير المؤمنين (عليه السلام) من بطش الزمرة المنحرفة تم الحفاظ على الإسلام المحمدي الأصيل والحفاظ على النهج القويم.

يقول سماحة المرجع (دام ظله): "ما تعرضت له الزهراء (عليها السلام) من تجاوزات من قبل الخارجين عن السنة المحمدية الأصيلة، نتيجة إصرارها على المحافظة على الدين" فكانت (سلام الله عليها) الكلمة الرافضة للمؤامرة الرامية لحرف الدين وسحب الخلافة من أمير المؤمنين (عليه السلام) فقالت قولتها في لمةٍ من النسوة أمام أبي بكر وعمر وجمهرة من الأنصار والمهاجرين والرسول (صلوات الله عليه وآله) لم يمضِ على وفاته إلا أيام قلائل: (أَيّها الناس اعلموا: أَنّي فاطمة وأبي محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، أقول عَوداً وبدواً ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم.

فإن تعزوه وتعرفوه، تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه (صلّى الله عليه وآله)، فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثَبَجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام، وينكث الهام، حتّى انهزم الجمع وولّوا الدبر، حتّى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلّت عقد الكفر والشقاق، وفُهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص (الَّذِينَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمُ الرِّجس وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً) و(كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّار).

ويؤكد سماحته في لقاءات متنوعة مع وفود من داخل وخارج العراق على ظلامة السيدة الزهراء (عليها السلام) وتصديها لهذه الظلامات والاعتداءات على الدين أولاً وعليها ثانياً، وهما بكل تأكيد وحدة واحدة لا ينفصلان ولا يفترقان، فيقول (دام ظله): "لقد تعرضت السيدة الزهراء (عليها السلام) للأذى لتصديها لمن حاول تحريف الإسلام عن مساره الصحيح".

فكان موقفها (سلام الله عليها) ورفضها لكل القرارات والمواقف التي اتخذت إعلاناً واضحاً لرفضها لكل أشكال الانحراف الاجتماعي والقيادي للأمة، وإن هذه القرارات لا تنم عن جوهر الدين والإسلام المحمدي الأصيل، فكانت أول معارضة للانحراف، وأول موقف رافض لكل أشكال الظلم والقهر والقرارات الخاطئة، وصبرت عندما وجدت أنها أصبحت بعد أبيها المصطفى صلوات الله عليه وآله الفئة المستضعفة، رغم مكانتها في السماء قبل الأرض، ورغم وصايا الرسول (صلوات الله عليه وآله) فيها وفي زوجها وأبنائها عليهم السلام، ولكن صبرت واحتسبت أمرها إلى الله سبحانه وتعالى ليأخذ بحقها ممن ظلموها واغتصبوا حقها وحق زوجها وأبنائها إلى يوم الدين، وهذه الظلامة كانت انطلاقة لبدايات الظلامات التي لحقت بأهل هذا البيت المطهر، وما صبرها إلا لتحافظ على الدين الإسلامي والأمة الإسلامية وجهود أبيها وزوجها في بقاء أمة الإسلام ومبادئ الإسلام ومعالم الدين الحنيف والالتزام بأوامر الله (سبحانه وتعالى) يقول سماحة المرجع (دام ظله) في هذا المجال: "صبر بضعة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) على ما تعرضت له أنما هو لإعلاء راية الحق والصلاح".

معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين (١٢٧٨)

عزاء لإحياء مظلومية الدين

قراءة في أَبجديات المسيرة الفاطمية.

تقرير: سجاد القتلاوي

يشارك سماحة المرجع الكبير أية اللّه العظمى الشيخ بشيرِ النجفي (دام ظله) سنويا برفقه المئات من أستاذة وطلبة الحوزة العلمية مع المؤمنين في النجف الأشرف الذين أقبلوا من كل بقعة من أرض الوطن، في مسيرة إحياء ذكرى استشهاد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى مرقد الإمام علي (عليه السلام) بحسب الرواية الثانية لذكرى شهادتها الأليمة.

المسيرة الفاطمية تبدأ بموكب راجل كبيرٍ من مكتب سماحة المرجع (دام ظله)، متوجهاً إلى حرم المولى أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث يقام هناك مجلس العزاء الفاطمي لتقديم التعازي وإحياء ذكرى الاستشهاد والرزية الكبرى والمؤلمة داخل الحرم الشريف بحضور سماحة المرجع (دام ظله)، لتكون نهاية مراسم العزاء بزيارة جنة المولى علي ابن أبي طالب (عليه السلام).

وللزهراء (سلام الله عليها) تمتد الجموع الغفيرة من مكتب سماحته لتملأ الطرقات والأماكن المحيطة والقريبة من حرم الإمام علي (عليه السلام) وسط حشود الجمع المؤمن وبصحبة عدد من خدام الزهراء (عليها السلام) من رواديد وشعراء وخطباء وإعلاميين وشخصيات أمنية منظمة للحدث، وبقراءة أولية في واقع المسيرة التي نشهدها كل عام نرى حركة تتجه نحو الزيادة في المشاركة، وعن ذلك يقول ممثل سماحة المرجع (دام ظله) ومدير مكتبه الشيخ علي النجفي (دام تأييده)، خلال كلمه له موجهة لعدد من وسائل الإعلام: "بفضل الله تقام المسيرة الموحدة لعزاء الإمام أمير المؤمنين بذكرى استشهاد السيدة الزهراء (عليها السلام) ويتشرف سماحة المرجع النجفي (دام ظله) بالمشاركة والحضور، والغاية من هذه المسيرة هو التأكيد على مصاب الزهراء (عليها السلام) وأن ما جرى عليها لا يكمن السكوت عنه، وسيبقى ذكرها وأثرها عبر التاريخ، وسنبقى حزينين نحيي عزاءها ما بقينا".

وأضاف النجفي أن "المرجع بنفسه مع طلبته وجمع كبير من أساتذة الحوزة ووجوه النجف الأشرف وخدمة الإمام الحسين (عليه السلام) من أصحاب المواكب وشيوخ العشائر من المحافظات اشتركوا في هذه المسيرة، وأن العراق هو عراق الحسين وعلي، وهؤلاء شيعتهم ومحبوهم، وهذا أقل ما نقدمه لأئمتنا الأطهار".

مسؤول معتمدي مكتب سماحة المرجع (دام ظله) الشيخ عادل الزورگاني بيّن لنا أن مشروع إحياء ظلامة السيدة الزهراء (عليها السلام) هو مشروع أهل البيت (عليهم السلام) وإعلان مظلوميتها أنما هو إعلان الرفض للانقلاب الذي تعرضت له الأمة الإسلامية على إرادة الله (سبحانه وتعالى) ونبيه صلوات الله عليه وآله بإعلان الرسمي بيوم الغدير، وهو في الوقت نفسه إعلان رافض لكل أشكال الظلم والفساد والحكم الجائر والحكام غير الذين نصبهم الله سبحانه وتعالى.

وأضاف فضيلته اعتاد مكتب سماحة المرجع (دام ظله) على رعاية إقامة هذه الشعيرة المقدسة بمشاركة كبرى لمعتمديه من كل مدن العراق، ومشاركة المؤمنين من مختلف المحافظات، وهذه الشعيرة هي بكل تأكيد جزء لا يتجزأ من شعائر الدين، وفيها إحياء للدين المحمدي الأصيل.

مضيفاً أن لقسم الوكلاء والمعتمدين الدور المتميز في تنظيم هذه المسيرة الكبرى مع أقسام المكتب الموقر من خلال تنظيم خطة تفويج المشاركين من المحافظات والمدن القريبة من النجف الأشرف، حيث تتم وسط أجواء روحانية مفعمة بالإيمان والولاء لأهل البيت (عليهم السلام) من لحظة الانطلاق من كل محافظة.

رئيس تحرير صحيفة الأنوار النجفية الحاج نصير الحسناوي بيّن أهمية هذه الشعيرة العقائدية والفكرية والاجتماعية، حيث قال: إن قضية السيدة الزهراء (عليها السلام) تمثل جزءاً محورياً في عقيدة التشيع، وظلامتها هي جزء من هذه العقيدة، فظلامتها (سلام الله عليها) كانت البداية لكل الظلامات التي تعرض لها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وجميع أتباعهم على مرّ العصور، وفي كل الأماكن فكانت هذه الظلامة بداية الجور، مشيراً إلى أن الإحياء السنوي والمشاركة السنوية توجيه رسالة سنوية للمجتمع المحلي والمجتمعات العالمية لأهمية دراسة وتدارس حياة السيدة الطاهرة والوقوف عند كل مفصل من مفاصل حياتها، كبنت وزوجة وأُم؛ لتكون قدوة لكل مؤمنة معاصرة، وتلفت هذه الشعيرة انتباه المؤمنين إلى أهمية الوقوف في الدفاع عن الحق والمتمثل بإمام الزمان، حيث كان موقف السيدة (سلام الله عليها) هو أول إعلان في صدر الإسلام رافض للظلم وانحراف الأمة عن جادة الصواب، فكانت خطبتها العظيمة في مسجد الرسول الأعظم (صلوات الله عليه وآله) وثيقة رسمية تاريخية أوضحت فيها معالم كبيرة وببلاغة عالية تدل على مكانتها العلمية والعقائدية والفكرية.

وفي سيرة وأجواء هذه الطاهرة كانت في العلم عالمةً عظيمة، وما تركته في أثرها من علوم شاهدة على عمق درايتها وسعة مرتبتها العليا، وأما تلك الخطبة التي ألقتها في مسجد المدينة بعد رحيل النبيّ، فهي خطبة، بحسب كلام العلامة المجلسيّ، يجب على فطاحل الفصحاء والبلغاء والعلماء أن يجلسوا ويفسّروا معاني كلماتها وعباراتها؛ فهي من العمق بحيث إنها بلحاظ جمالية الفن كأجمل وأعلى كلمات البلاغة.

يقول سماحة الشيخ باقر بحسون الأستاذ في الحوزة العلمية: إن خروج مرجع من مراجع الطائفة في النجف الأشرف له دلالاته ورسالته إلى العالم الإسلامي والعالم بشكل أوسع، وهي دعوة لدراسة التاريخ بإنصاف وتعمق لمعرفة الحق، فهذه المسيرة تعبر عن هذه المظلومية التاريخية التي تعرض لها النبي وأهل البيت (عليهم السلام) لأن مظلومية الزهراء تعبر عن المخطط الخبيث الذي أراد أعداء الأمة تنفيذه نكاية بالنبي، وأول ضحية هي ابنته السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

ويقول فضيلته: السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، تذهب إلى مسجد المدينة وتقف مقابل الناس وترتجل خطبتها، ولعلها تتحدّث لمدّة ساعة بأعذب وأجمل العبارات وأكثرها بلاغة، ومع كل تلك المصائب والصعاب أتت إلى المسجد وخاطبت الجمع الغفير من وراء الحجاب (الستار)، وكل كلمة من هذه الخطبة بقيت في التاريخ شاهدة على عمق معرفتها.

وهذه المسيرة الراجلة أنما هي مسيرة عزاء لتلك المسيرة الفاطمية التي خرجت بها السيدة الطاهرة في لمة من النسوة لإعلان الرافضة للانقلاب على قرارات السماء.

وأضاف أن هذه المسيرة مهمة عقائدياً وتاريخياً واجتماعياً وعبادياً، وهي توجه المجتمع إلى دراسة وتدارس الفكر الإسلامي والتاريخ بعين الإنصاف والوقوف عند هذه المحطات التاريخية؛ ليكون منصفاً، ويعرف من خلالها كفة الحق ورجحانها، فيكون معها لتحقيق الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة.

مودعة في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٢٦) عام ٢٠١٢ م .

السيدة الزهراء (عليها السلام)
الهادية والمربية والمرأة.

قراءات في خطابات سماحة المرجع النجفي (دام ظله) وتوجيهاته للوفود النسوية

جاء الرسول (صلى الله عليه وآله) بالإسلام لينشر الخير والصلاح في المجتمع، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الفوضى إلى النظام، والإسلام وضع الأنظمة لكل صغيرة وكبيرة في هذه الحياة، فأنظمة لحياة الفرد الخاصة وأخرى لعلاقته بأسرته ثم المجتمع ثم الدولة، وأخرى مع الطبيعة والحيوانات ومع الخيرات والابتلاءات.

والرسول صلوات الله عليه وآله استطاع خلال ٢٣ سنة فقط ـ وهي فترة البعثة النبوية ـ أن يصنع أمة ويغير مجتمعاً، ويهدي الناس، واليوم نعيش في هذا العالم إسلاماً يملئ الخافقين بالمعتنقين، كانت نتاج فترة قليلة جداً مقارنة ببعثة ورسالة الأنبياء والرسل التي كانت تمتد لعقود طوال، وهنا يقول سماحة المرجع (دام ظله): "علة بعثة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) والغاية من بعثته هي أن يكون للعالمين نذيراً، ومعلوم أن الغاية من الإنذار هو هداية الناس، فبعثة النبي لهداية العالمين العالم الذي كان فيه الرسول (صلى الله عليه وآله) والعوالم التي تطرأ وتأتي مستقبلاً إلى يوم القيامة، الرسول (صلى الله عليه وآله) خلقه الله سبحانه وبعثه رسولاً لهداية الناس، الرسول الأعظم يعتبر أنجح نبي وأنجح رسول من بين جميع الأنبياء والرسل، أنجح نبي في مهمته وهي هداية الناس، والرسول لم يطل عمره الشريف، حيث توفي أو نقول: استشهد وعمره ٦٣ سنة تقريباً، وبعث وأمر بالهداية وعمره ٤٠ سنة، فكل جهده وعمره الرسالي للهداية ٢٣ سنة فقط".

ويشير سماحته أن الرسول (صلوات الله عليه وآله) تحمل مسؤولية هداية المجتمع من الرجال، وبيان الأحكام والتوجيهات وتحملت السيدة الزهراء (عليها السلام) هداية النساء من المجتمع بفقه المرأة وأخلاقها، وكانت (سلام الله عليها) تجيب على أسئلتهن، وهنا يقول سماحة المرجع (دام ظله): "وهناك قسم ثالث وهو القسم المختص بالنساء والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) كرجل يتمكن من توضيح هذا القسم من الأحكام بلسانه المقدس فقط بإرشاداته وتوضيحاته وبياناته، ولكن لم يتمكن من تجسيد هذا الصنف من الأحكام بالعمل؛ لأن هذا القسم مختص بالنساء، فليس للنبي ولا يتمكن النبي أن يعلم نساء الدنيا كيف تربي الأطفال وكيف ترضع الأطفال وغير ذلك من الأحكام المختصة بالنساء، فهذه الأحكام يبينها بتعبيرات واضحة جداً، ولكنه يعجز عن تجسيدها عملياً؛ لأنه رجل وهذه الأحكام مختصة فرضاً للنساء، فالله سبحانه لم ترضَ حكمته، ولم يرضَ عطفه، ولم ترضَ رحمته أن تبقى هذه الأحكام المختصة بالنساء بدون معصومة تجسد هذه الأحكام لنساء العالمين كلهن، فالله سبحانه اختار سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) لتجسيد الأحكام المختصة بالنساء، حتى لا يبقى الصنف النسوي خالياً من هادية من امرأة تهديهن بواسطة تجسيد الأعمال وتقديم العمل والهداية العملية لنساء العالمين فكانت الزهراء هي المرشد وهي المحور وهي الهادية الأساسية لنساء البشرية كلها".

يرى سماحة المرجع (دام ظله) أن السيدة الزهراء (عليها السلام) كان لها دورٌ محوريٌّ في هداية الناس في عهد أبيها صلوات الله عليه وآله وإرشادهم للتعاليم الحقة ومعرفة الصواب والخير، وكانت لا تتعب ولا تتململ من دورها هذا، بل كانت تشجع النسوة على السؤال والتفقه، وهنا يجب الإشارة إلى أهمية أن تتفقه المرأة في دينها ومعرفة الأحكام الشرعية ومعرفة طريق الصواب، من خلال قنوات المعرفة سواء كانت مصادر من الكتب أو وسائل الإعلام الدينية التي تقدم معلومات فقهية رصينة ودقيقة، والتي تمثل خط ومنهج أهل البيت (عليهم السلام).

ويرى سماحته أن المرأة بدورها التكويني تمر بثلاثة مراحل، وهي البنت والزوجة والأم، ولكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث يكون للمرأة دور، وإذا ما رجعنا للتاريخ فإننا سنجد السيدة الزهراء (عليها السلام) عاشت الصورة المثالية للمرأة في هذه المراحل الثلاث، فهي الحانية على أبيها رسول الله صلوات الله عليه وآله رغم كل الأذى الذي لقيه من مشركي مكة، حتى لقّبها بأم أبيها، وكانت الزوجة المثالية التي أطاعت زوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) وصبرت على حياة الفقر وتعب الأعمال في المنزل دون أن تشكو له ألماً أو تعباً، وكانت في مرحلة الأمومة نموذجاً عظيماً في غرز مفاهيم الدين الحنيف والقيم الرفيعة والتهيئة للابتلاءات والمراحل الأخرى من الحياة، وهنا يرى سماحة المرجع أن هذا التطور يجب أن يكون واضحاً في تربيتها (سلام الله عليها) في تربية ابنتها السيدة زينب (عليها السلام).

يقول سماحة المرجع: "الزهراء (عليها السلام) في حياتها المختصرة تمكنت من تجسيد وظائف المرأة كبنت في بيت أبيها كانت (سلام الله عليها) بنتاً وفية حنونة على أبيها وأمها، رغم أنها فقدت أمها أم المؤمنين (عليها السلام) في طفولتها، ولكنها كانت قد تهيأت لأن تكون بنتاً حقيقة للرسول (صلى الله عليه وآله) فكانت تقوم بخدمة النبي وإطاعته، بحيث وفرت للنبي (صلى الله عليه وآله) ذلك العطف الذي حرم منه عطف الأم؛ لأن أمه (سلام الله عليه) وعليها قد توفيت وهو طفل رضيع، فإذا هذه الزهراء وفرت للنبي ما فقده بموت أمه من حنان الأم، ولذلك لقبها النبي (صلى الله عليه وآله) بأم أبيها، ثم بعد ذلك لما ارتبطت بالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كزوجة قامت بجميع الواجبات الملقاة على عاتق الزوجة، بحيث وفرت له سلام الله عليه كل ما يفتقر إليه الرجل ويحتاج إليه من امرأة كزوجة، وفرت له كل ذلك، وكان من كرامة الله سبحانه على الزهراء أنه قد حُرّم على علي بن أبي طالب (عليه السلام) الزواج بأي امرأة مادامت الزهراء (سلام الله عليها) على قيد الحياة، فتمكنت الزهراء من القيام بالواجب كزوجة، حتى كانت أنساً لعلي بن أبي طالب، وهكذا تمكنت الزهراء من تقديم الدرس وتجسيد الأحكام المختصة بالمرأة كزوجة، تمكنت من تجسيدها وتقديمها للبشرية كلها، واعترف علي بن أبي طالب بأن الزهراء (عليها السلام) قد وفت بكل ما كان يجب عليها، ولذلك قال لها قبيل وفاتها: يا زهراء أنت أبرُّ وأتقى وأطهر من أن أأخذك على شيء من مخالفتي؛ لأن الزهراء كانت معصومة وكانت وفية وفرت للزوج ما يفتقر إليه كرجل.

ثم المرحلة الثالثة من حياة المرأة وهي مرحلة الأمومة حينما تصبح المرأة أما لأطفالها هي الزهراء قامت بدور الأم بنحو علّمت نساء العالم كلهن كيف ينبغي أن تكون الأم، ولا نتمكن من معرفة التربية وأثر تربية الزهراء (عليها السلام) من خلال تربية الإمام الحسن والحسين عليهما السلام؛ لأنهما إمامان إن قاما وإن قعدا، ولا يحتاجان إلى تربية من البشر، ولكن تظهر آثار تربية الزهراء في ابنتها زينب (عليها السلام) فقد ربتها تربية وأهلتها لتحمل المصائب والآلام والواجبات التي ألقيت على عاتقها)".

وهنا يشير سماحته في عدة لقاءات مع وفود من المؤمنات إلى ضرورة الاقتداء بالسيدة الزهراء (عليها السلام) ليتحقق بذلك إنشاء نسوة مؤمنات قادرات على تربية أبنائهن تربية صحيحة على منهج أهل البيت (عليهم السلام) فيقول سماحته: (الزهراء (عليها السلام) هي أفضل مثال للبنت والزوجة والأم، فعليكن الاقتداء بها..) وفي حديث آخر يقول: (على النساء التحلي بخلق السيدة الزهراء والسيدة زينب الحوراء (عليهما السلام) والتمعن بسيرتهن العطرة؛ لتكون هناك أمهات صالحات، وفتيات ملتزمات بالحجاب الإسلامي، وما أمر الإسلام به، فإن مستقبل العراق هو بيد الأم.

مؤكداً في حديث آخر أن الواجب على المرأة المعاصرة أن تتعرف على سيرة السيدة الزهراء (عليها السلام) وتتوقف عند هذه السيرة العطرة بين الفترة والأخرى لمعرفة الميزان الحقيقي في التربية والفقه والعقيدة وجميع معارف الدين وسبل سعادة الأسرة فيقول سماحته: (على المرأة النهل من سيرة السيدة الزهراء (عليها السلام) وأن تجعلها القدوة لها في جميع ميادين الحياة.

ويشير سماحته أن المجتمع العراقي بشكل عام والمرأة بشكل خاص تتعرض لغزو ثقافي هدفه النيل من المرأة العراقية وتغيير هويتها وثقافتها وفكرها وجرها نحو ما يخططون له، فيقول سماحته: "هناك غزوٌ ثقافي يريد أن ينال من المرأة العراقية.. فعليها أن تقتدي بالسيدة الزهراء (عليها السلام) لتتجاوز هذه المؤامرة"، ويقول: "إن السيدة الزهراء رسمت الأسس الصحيحة للمرأة المسلمة".

المسيرة الفاطمية إعلان رافض لكل أشكال الظلم والإرهاب.

أحد أكبر المآسي والرزايا التي حدثت في التاريخ الإسلامي، بل والتاريخ الإنساني هو الاعتداء على بيت السيدة الزهراء (عليها السلام) واغتصاب حقها في ميراث أبيها صلوات الله عليه وآله.

وهذه الرزية كانت البداية لرزايا أخرى منها التسبب بغياب المولى صاحب العصر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، وكل ما يتعرض له أتباع أهل البيت (عليهم السلام) من بطش وترهيب وسجون وقتل في مختلف الأزمان والأماكن، بل وجميع الجرائم التي يتعرض لها الإنسان في كل المجتمعات وعلى مرّ الأزمان.

وإحياء هذه المظلومية وتجديد العزاء إعلانٌ رافضٌ للظلم الذي تعرضت له السيدة الطاهرة (سلام الله عليها) وإحياء هذه المناسبة يعني التمسك بالنهج القويم والحق وأتباعه، والتمسك بالعقيدة الحقة؛ لأن السيدة الزهراء عليها السلام تمثل محور العقيدة وحلقة الوصل بين النبوة والإمامة، وهو في ذات الوقت إعلانٌ لرفض كل أشكال الظلم والقهر التي يتعرض لها الإنسان في كل مكان على أرجاء المعمورة.

ومكتب سماحة المرجع (دام ظله) وخلال السنوات الماضية أحيا هذه الشعيرة المقدسة من خلال مسيرة راجلة يشارك فيها فضلاء الحوزة العلمية من أساتذة وطلبة، فضلا عن ممثلي مكاتب المراجع (دام ظله) من داخل العراق وخارجه وتنطلق المسيرة من مكتبه صوب مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) لإقامة مجلس عزاء في الصحن المبارك وتقديم العزاء للمولى (عليه السلام).

ممثل سماحة المرجع (دام ظله) ومدير مكتبه المركزي سماحة الشيخ علي النجفي (دام تأييده) بيّن الغاية من هذه المسيرة هو التأكيد على مصاب الزهراء، وأن ما جرى عليها لا يمكن السكوت عنه، وسيبقى ذكرها وأثرها عبر التاريخ، وسنبقى حزينين نحيي ذكراها ما بقينا.

وأضاف النجفي أن المرجع (دام ظله) بنفسه مع طلبته مع أساتذة الحوزة ووجوه النجف الأشرف وخدمة الإمام الحسين من أصحاب المواكب وشيوخ العشائر من المحافظات اشتركوا في هذه المسيرة، وأن العراق هو عراق الحسين وعلي وهؤلاء شيعتهم ومحبوهم، وهذا أقل ما نقدمه لأئمتنا الأطهار.

واعتبر الشيخ النجفي أن المسيرة على منهج الزهراء (عليها السلام) في رفض الظلم والفساد، بالقول: إن ما يحصل اليوم من فساد وخراب هو بالتالي مأساة كبيرة على الإسلام والمسلمين وعلى هذا البلد، ومن أولى مظاهر ارتباطنا بأهل البيت هو رفض هذا الفساد والعمل على تعديله والسعي لإصلاح ما أفسدته السياسة وبعض السياسيين، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزءٌ من هويتنا وديننا الذي تعلمناه من أئمتنا الكرام والسيدة الزهراء (صلوات الله عليها).

وكيل سماحة المرجع (دام ظله) في سوريا ولبنان سماحة الشيخ علي بحسون بيّن أن خروج مرجع من مراجع الطائفة في النجف الأشرف يعبر عن هذه المظلومية التاريخية التي تعرض لها النبي وأهل البيت (صلوات الله عليهم)؛ لأن مظلومية الزهراء (عليها السلام) تعبّر عن المخطط الخبيث الذي أراد أعداء الأمة تنفيذه نكاية بالنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأول ضحية هي ابنته السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

> ممثل سماحة المرجع: ما جرى على السيدة الزهراء (ع) لا يمكن السكوت عنه، وسيبقى ذكرها وأثرها ماضياً عبر التاريخ وسنبقى حزينين نحيي ذكراها ما بقينا.

> ممثل سماحة المرجع: ومن أولى مظاهر ارتباطنا بأهل البيت (ع) هو رفض هذا الفساد والعمل على تعديله والسعي لإصلاح ما أفسدته السياسة وبعض السياسيين.

> وكيل سماحة المرجع: مظلومية الزهراء (ع) تعبّر عن المخطط الخبيث الذي أرادَ أعداء الأُمة تنفيذه نكايةً بالنبي، وأول ضحية هي ابنته السيدة فاطمة الزهراء (ع).

مودعة في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٢٦) عام ٢٠١٢ م .

السيدة الزهراء (عليها السلام)

محور الدين، واستذكار مصابها إِحياء للدين القويم.

لقاء :مدير التحرير

دأبت الحوزة الشريفة بمراجعها العظام عبر التاريخ على إقامة العزاء والمصاب لإحياء مصابها وذكرها (صلوات الله وسلامه عليها) لما لها من أَهمية ولما لهذا الإِحياء من فضل.

لمصاب السيدة الزهراء (عليها السلام) أثر خاص في نفوس شيعة أَهل البيت (عليهم السلام)، ولعزائها حيّز خاص في نفوس المؤمنين، ومحور رئيس في عقيدة الإِسلام المحمدي الأصيل، وهي حلقة الوصل بين النبوة والإِمامة، ومصدر رضا الله سبحانه وتعالى.

النجف الأَشرف واضبت على إِحياء هذه الذكرى برواياتها الثلاث المشهورة، فتقيم مختلف صور وفعاليات العزاء الفاطمي، ومن أَبرزها المسيرة الفاطمية الَتي يتقدمها سماحة المرجع (دام ظله) منذ سنوات من مكتبه إِلى مرقد أَمير المؤمنين (عليه السلام) لتقديم العزاء، ولبيان أَهمية هذه المناسبة والدور العقائدي والاجتماعي لها، وأَهمية إِحيائها في المجتمع كان لنا هذا اللقاء مع ممثل سماحة المرجع (دام ظله) ومدير مكتبه المركزي سماحة الشيخ علي النجفي (دام تأييده).

معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين (١٢٧٨)

للسيدة الزهراء (سلامُ اللهِ عليها) أثر محبة وود وولاء في قلوب المؤمنين.

ما تعرضت له هو لأَجل هداية الأُمة وهدايتنا، ولأَجل إِصلاح وصالح الأُمة.

الأنوار النجفية: ما أهمية إحياء ذكرى شهادة السيدة الزهراء (عليها السلام)؟

ج: أَهمية إحياء مصابها وذكرها وإقامة عزائها وتجديد ذكرها لعدة اعتبارات، وهذه الاعتبارات كلها مهمة نذكر بعضها.
أولاً: هي أول شهيدة من أهل بيت النبوة (صلوات الله وسلامه عليهم) وأول من استشهد وسال دمه على تراب الأرض لأجل الدين.
ثانياً: هي المحور الرابط بين النبوة الإمامة، نعم إن هذه المرأة العظيمة التي شرفها الله سبحانه وتعالى بأن جعلها سيدة نساء العالمين هي المحور بين أهم رسالة وأهم مصدر للدين، وبين التطبيق وبين الختام من بعد نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) بزواجها من مولاي أمير المؤمنين (عليه السلام) وإنجابها الإمامين الحسنين (عليهما السلام) وذريتهم الأئمة الأطهار (عليهم السلام).
الأمر الثالث: إن هذه الظلامة أنما هي من اجل إحياء المبدأ الذي جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) حينما جاءت له وهو على فراش الموت باكية، فتمثلت بأبيات أبي طالب (عليه السلام) وقالت:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ففتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) عينه وقال بصوت ضعيف: يا بنية، هذا قول عمك أبي طالب لا تقوليه، ولكن قولي: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ).
فبكت (صلوات الله عليها) طويلاً، فأومأ (صلى الله عليه وآله) إليها بالدنو منه، فدنت منه فأسرَّ إليها شيئاً تهلل وجهها له، ثم قبض (صلى الله عليه وآله) ويد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه (صلى الله عليه وآله) فيها، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها.
فالأمة انقلبت على عقبيها وانحرفت وذهبت إلى مسار خاطئ بعيد كل البعد عمَّا يريده (صلوات الله عليه وآله) وما ضحّى من أجله رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان لا بُدَّ من تضحية جسيمة كبيرة تبدأ بصعق الأمة.
الأمر الرابع: توضح للباحث عن الحقيقة والإيمان الحقيقي أين هو الطريق؟ فكانت دماء فاطمة الطاهرة (عليها السلام) وإسقاط جنينها هو المحور أيضاً نفسه، فنوعية الظلامة، بل ذات الاعتداء وبشاعته ولا إنسانيته في وقت لم يجف فيه قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعد دلالة على أن يحتاج الإنسان أن يتوقف ويسأل ويستفسر لماذا قُتلت؟ ولماذا ضربت؟ ولماذا احرق بابها؟.. فالتساؤلات تطول.. وسُبل الهداية واضحة لمن رام الهداية بمشيئة الله (عزّ اسمه).
الأمر الآخر: أن مصائب السيدة الزهراء (عليها السلام) وإحياؤها هو إحياء لكل مصيبة ولكل آلام رسول الله وأمير المؤمنين والحسنين ومن بعدها إلى ظهور المولى (صلوات الله عليهم أجمعين) فمصابها وإحياء هذا المصاب هو تفصيل لكل مفاصل الدين وإحياء للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

حينما ضحت السيدة الزهراء (عليها السلام) بهذه التضحية، كانت على أتم الاستعداد لها، وكانت تعرف أن هذه التضحية في محلها، ويجب أن تقدمها لأجل أن تحفظ دين أبيها وتضحياته، ونحن اليوم إذ نجدد عزاءنا لمولانا صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه) نسأل الله أن نوفق وإياكم لإحياء مصابها.

الأنوار النجفية: ما الذي تشغله ذكرى شهادة السيدة الزهراء (عليها السلام) في ضمير أتباع أهل البيت (عليهم السلام)؟

ج: مولاتي الزهراء (عليها السلام) لها مكانة خاصة في قلوب شيعة أهل البيت (عليهم السلام) والموالين والمحبين لهم، حيث إنها (سلام الله عليها) النور الساطع، وهي المحور الذي بعثه الله (سبحانه وتعالى) لهذه الأمة, والزهراء (عليها السلام) كانت نوراً تحت عرش السماء من قبل أن تُخلق الخلائق بآلاف السنين، كما في مضمون بعض الروايات, فالسيدة الطاهرة العظيمة (سلام الله عليها) لها أثر محبة وود وولاء في قلوب المؤمنين جميعاً، لما فيها من رحمة، إذ ستقف وتلتقط شيعتها في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وملأ قلوبهم بحبهم (صلوات الله وسلامه عليهم), فأثر التعاطف مع مصاب أهل البيت ومع مصاب رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين) في قلوب المؤمنين إنها تمثل الحق والحقيقة، بل كل ما قدمه النبي لأجل الإسلام ومرره إلى الأئمة الأطهار (عليهم السلام) فهي محور هذا المرور ومحور هذا العطاء.
فأهميتها (سلام الله عليها) في قلوب المؤمنين أنه لا يوجد مؤمن إلا وله ارتباط خاص بها، وتأثر بسيرتها العطرة؛ لتكون السيدة الزهراء (عليها السلام) بحياتها وسلوكها خلال أدوارها الإنسانية من بيت الرسالة (صلوات الله عليه وآله) حيث كانت بنتاً إلى دور الزوجة في بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) وخلال حياتها مع الحسنين (عليها السلام) كأم لتكون بحق محققة للأدوار المجتمعية ككل.
الزهراء بوصلة لحياة كل مؤمن تجاه الحق، لذلك قدمت في هذه الحياة نموذجاً ليس له نظير، نعم إنها نموذج مثالي من العصمة والطهارة والأداء والتربية والتوجيه لكل بيوتنا ومجتمعاتنا وأهلنا، لذلك هي تحتل في قلوب المؤمنين المكانة الاجتماعية والرمزية فضلاً عنه الأثر الديني.
وما حدث من اعتداء سافر من قبل أعداء الدين كان بالحقيقة غصّة في قلب كل مؤمن ومنصف، ولا يمكن أن يُغمض جفن لمؤمن وهو يتذكر السيدة الزهراء (عليها السلام) إلا ويتذكر مصابها، وعليه أن يستذكر الظلامة والألم.
في الحقيقة نشعر أن السيدة الزهراء (عليها السلام) هي البركة، وهي الوجود، وما تعرضت له هو لأجل هداية الأمة وهدايتنا، ولأجل إصلاح وصالح الأمة وإصلاحنا.

الأنوار النجفية: ما هي الرسالة التي تقدمها الحوزة العلمية في النجف الأشرف من الإحياء السنوي لذكرى شهادة الزهراء عليها السلام؟

ج: دأبت الحوزة الشريفة بمراجعها العظام عبر التاريخ على إقامة العزاء والمصاب لإحياء مصابها وذكرها (صلوات الله وسلامه عليها) لما له من أهمية، ولما لهذا الإحياء وذكر من فضل، حيث إن مراجعنا وإلى يومنا هذا _بالحقيقة_ يسارعون إلى التأكيد أولاً، وإلى تنبيه الناس ثانياً لبيان فضلها (عليها السلام)، وإلى حث الناس على مشاركتهم الفاعلة في إحياء مصابها ؛ لذلك تجد أن هناك مرجعاً يخرج حافياً لإحياء مصابها وعزائها، فلا وقار في مجلسها (عليها السلام)، وإن إحياء مصابها وإحياء ذكرها محور لإحياء الدين وأحياء مصيبة أهل البيت كلهم (عليهم السلام)، واليوم نحن نوصل رسالة إلى كل شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ومحبيهم مفادها: علينا جميعاً القيام بهذا الواجب، لأنفسنا ولمستقبل أبنائنا ولمجتمعاتنا، وإن المرجعية على رأس الحوزة تقدم ما لديها من إمكانيات من خلال خطبائها وبقيادة مراجعها ومبلغيها، وتصر على ضرورة إحياء مصابها (عليها السلام) وذكر فضائلها، وذكرها والتبرك بهذه المجالس العظيمة الكبيرة عند الله سبحانه وتعالى, فهنيئاً لمن يحيي هذا المصاب، ويشرفنا أن نكون خداماً لمولاتي الزهراء عسى أن يوفقنا الله وإياكم لإحياء مصابها.

الأنوار النجفية: ما هي النتائج الاجتماعية المترتبة على مشاركة المراجع وأساتذة الحوزة العلمية وطلبة الحوزة العلمية في المسيرة الفاطمية؟

ج: ورد عن المعصومين (عليهم السلام): "احيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا", فما بالكم ونحن نحيي مصاب مولاتي الزهراء (عليها السلام) فهي أول مصاب بعد فقدنا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وبفاجعة كبيرة وعظيمة, فلهذه الفاجعة ولمراسم إحيائها من إقامة المسيرات و(العزيات) والمواكب وتقديم الطعام ونشر السواد ولبسه.. وإلى غير ذلك مما يمكن أن يُقدم وما قدمه المؤمنون عبر التاريخ _من العلماء وإلى البسطاء جميعاً جزاهم الله خير الجزاء_ أهميته الكبيرة والعظيمة، فتكمن هذه العاطفة الوقادة في نفوسنا ونفوس عوائلنا ومجتمعاتنا لتبقي الدين وقاداً، ومعلوم أيضاً أن بقاء الدين سلامة للإنسان في الدنيا والآخرة، ونجاته وخلاصه من عذاب الله.
ففي الحقيقة أن آثام الإنسان كثيرة وكبيرة، فما مخلص من الذنوب سوى أن نتعلق بأهل البيت (عليهم السلام) بعد التوبة إلى الله (سبحانه وتعالى), ويجب أن ندرك أن الزهراء (روحي فداها) قد قدمت ما قدمت لأجل إحياء ضميرنا، ولأجل إحياء الدين في نفوسنا وتثبيتنا، وإحياء مصابها تثبيت لنفوسنا، وتثبيتٌ للمبادئ والقيم، بل للصلاة، والصيام، والحج، بل والعقيدة وكل ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو تثبيتٌ للدين، وربطٌ للناس سلوكاً وقولاً.
من المفجع أن إنسانة عظيمة _لا مثيل لها في الدنيا ولا في الآخرة_ يأتي لعين يعصرها بين الحائط والباب، وتتحمل وتصبر حتى يسقط جنينها، وتموت أثر ذلك الحادث، نعم ما تحملته كان إحياءً للدين، فكل من يقيم عزاءها ويذكر مصابها هو شريك في الهدف الذي ضحت من أجله، فنحن حين نقيم العزاء ونقيم المسيرات نكون شركاء وساعين في أداء رسالة مولاتي الزهراء (عليها السلام) التي سالت دماؤها الطاهرة من أجلها.

الأنوار النجفية: ما هي النتائج الاجتماعية المترتبة من مشاركة المراجع العظام وأساتذة وطلبة الحوزة العلمية في المسيرة الفاطمية؟

الأثار الذي يمكن أن يحصل عليها الإنسان من جراء إقامة العزاء على أهل البيت (عليهم السلام) عموماً وعلى مولاتي الزهراء (سلام الله عليها) بالأخص عديدة اذكر بشكل سريع ومقتضب منها:
بقاء ذكر السيدة الزهراء (عليها السلام) في قلوب الناس وبقاء مبادئها وقيمها معناه بقاء الأمة بشكل عام، ومجتمعاتنا بشكل خاص على مبادئنا وقيمنا، باعتبارنا مرتبطين بها عاطفياً ودينياً وعقائدياً، وهذه المبادئ تنتقل بالعاطفة بالمحبة وبالذكر.
ثم إن ذكر المصاب يصحبه ذكر لفضائلها وسلوكها من خلال المجالس وإقامة العزاء، وهذا يبقى راسخاً في نفوس أبنائنا سواء بالتصرفات والأخلاق، أم على صعيد القيم وحماية الفطرة السليمة في ظل الهجمة الثقافية والإعلامية.
إحياء مصاب الزهراء (عليها السلام) توفيق في الدنيا والآخرة، وهذا التوفيق بالتأكيد سينعكس على أولادنا بنمو بذرة الطيب والولاء والانتماء والهوية في قلوبهم وشخصيتهم، فأمام كل الأهواء والحملات لحرف التوحيد والعقيدة سيكون هناك رادع لا نشعر به، لينعكس على الفرد من خلال تصرفاته في يوم من الأيام، وليكون موقف تجاه الباطل أو لأي أمر لا يُرضي الله (سبحانه وتعالى)، إذ إن هذه المجالس وتجديد العزاء لهذا المصاب هو تربية وتخلقُ رادعاً للسوء، فكما أن الصلاة هي تنهى الفحشاء والمنكر، فمحبة وولاء أهل البيت (عليهم السلام) هوية تعيش في قلوب المؤمنين، وقطعاً ستكون مؤثرة في حياتهم.
وهناك توفيقات أخرى تتمثل بالتوفيق المادي والتوفيق المعنوي والتوفيق الأخروي من خلال زيادة رصيد الحسنات، وحينما تظهر تلك الأنوار في سماء الجنة، فيروى عن سعيد الحفاظ الديلمي بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "بينما أهل الجنة في الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يعذبون، إذا لأهل الجنة نور ساطع، فيقول بعضهم لبعض: ما هذا النور لعل ربّ العزة أطلع فنظر إلينا فيقول لهم رضوان: لا ولكن علي (عليه السلام) مازح فاطمة فتبسمت فأضاء ذلك النور من ثناياها"، نعم إنها حياة المؤمنين الذين سيوفقون إلى أن يعيشوا تلك الحياة الأبدية، والتزام طريق الحق.
وغاية ما يمكن أن يسعى إليه الإنسان في حياته، إذ نبني أنفسنا على المنهج الصحيح وعلى سيرة أهل البيت (عليهم السلام)، لنوفق للدارين، وهذا ما ورد في مضامين أهل البيت وسلوكهم وتوصياتهم ومضامين سلوك علمائنا (رضوان الله على الماضين وحفظ الباقين).. نسأل الله أن نوفق بإحيائنا لذكر مصاب مولاتي الزهراء (عليها السلام)، وأن نكون موفقين بأخذ هذه الثمار إلى حياتنا اليومية.

الأُمة بعد وفاة الرسول (صلوات اللهِ عليه وآله) انقلبت على عقبيها وانحرفت وذهبت إلى مسار خاطئ.

رضا فاطمة (عليها السلام) رضا اللّه وغضبها غضبه تعالى.

العلامة السيد محمد علي الحلو (قدس سره)

روى الفريقان أن رضا فاطمة رضا الله تعالى وغضبها غضبه، فقد روي في عوالم العلوم عن المناقب أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "يا فاطمة، إنّ الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك".

وعن كشف الغمة عن الحسين بن علي عن أبيه عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: "يا فاطمة، إنّ الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك".

وروى أهل السنّة بأسانيد مختلفة وطرق متكثرة، مثل ما أخرجه محب الدين الطبري في ذخائر العقبى عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "يا فاطمة، إنّ الله (عزّ وجلّ) يغضب لغضبك ويرضى لرضاك" يُعد هذا الحديث من جملة الأدلّة على إثبات عصمتها (عليها السلام)، فإضافة إلى آية التطهير التي تدلّ على عصمتها وحجيتها على الخلق، إذ إن غضب فاطمة ورضاها دالّ على الرضا والغضب الإلهيين، مما يعني أن غضب فاطمة ورضاها فرع غضب الله تعالى ورضاه، ومتى ما كان الأمر كذلك فإننا نستكشف بالدليل الإني عصمتها (عليها السلام)، إذ لا يكون الرضا والغضب الصادرين من قبل شخص، رضاً وغضباً إلهياً إلا حينما يكون هذا الشخص بعينه معصوماً عن كل عيب، ممتنعاً عن كل قبيح؛ ليكون رضاه وغضبه في حدود الرضا والغضب الإلهيين.

وفاطمة (عليها السلام) حظيت بتلك المنزلة تدليلاً على عصمتها وطهارتها فضلاً عن حجيتها ومقامها الإلهيين.

كما أنّ في الحديث دلالة كافية للزوم ولايتها وطاعتها على الخلق؛ حتى يحصل بذلك رضاها ويتحقق عدم غضبها (عليها السلام)، فإذا تحقق ذلك أمكن إحراز الرضا الإلهي وتجنّب غضبه تعالى، مما يؤكد أن هذه المواصفات لا تتوفر إلا لمن تمتع بمقام الحجية والتطهير الإلهيين الملازم لوجوب الطاعة على الخلق.

على أنه (صلى الله عليه وآله) عبّر عن حجيتها بماهية الحجية في العقل العملي، لا بماهية الحجية في العقل النظري التي تبحث في علم المنطق كالأشكال الأربعة، أو في علم أصول الفقه، والسر في ذلك أن الحجية في العقل العملي تستلزم الحجية النظرية دون العكس، مما يدل على مقام حجيتها وعصمتها العلمية والعملية.

وبيان ذلك: أنّ خاصية الحجية النظرية تختلف عن خاصية وماهية الحجية في الحكمة العملية، ففي بحث المنطق تذكر البراهين والأقيسة التي تشير إلى العقل العملي، كما أنّ في أصول الفقه تذكر الحجية بماهية كاشفية، أي حاكية وموصلة. أما الحجية العملية فإنّها تتميز بكون هويتها وخاصيتها أنها لازم عملي وليس المقصود منه العمل الجارحي وحده، بل العمل الجوانحي كذلك، أي الحجية العملية ترتبط بالصفات العملية في النفس، بل هي ترتقي فوق الصفات العملية ولا تقتصر على الجوانح، بل ترقى إلى القلب لتشمل الحب والبغض، والرضاء والغضب، والتولي والتبرّي، فخاصية الحجية العملية إذن ترتبط بالجانب العملي على مستوى القلب الذي يكون أعلى من الإدراك الساذج البسيط. ومن ثَمَّ فإنّ التعبير للحجية العملية لا يعبر عنها بتعبيرات الحجية النظرية، كما في التعبير عنها بالنور واليقين والبيان وغيرها. في حين يختلف الأمر عما هو عليه في الحجية العملية، كما في قوله (صلى الله عليه وآله): "علي مع الحق والحق مع علي" وقوله (صلى الله عليه وآله): "إنّ الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها" أو ما عبّر عنه القرآن الكريم قوله: {كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنّه من عبادنا المخلَصين} وقوله تعالى: {ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك المخلَصين} وقوله تعالى: {إنّه كان مخلَصاً وكان رسولاً نبياً} فالتعبير بالمخلَص تعبير عن الحجية، لكن بما هي حجية عملية لا الحجية النظرية، كما في عناوين التطهير والاصطفاء وصفاً للأنبياء، كما في قوله تعالى: {إنّهم عندنا من المصطفين الأخيار} وقوله تعالى: {إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} وكما في عنوان "المقرّب" كقوله تعالى: {والسابقون السابقون أولئك المقربون} فهو تعبير عن الحجية العملية، وهو وإن كان عملاً إلا أنه على صعيد القلب، كما أنّ النور فوق الإدراك مع أنه على صعيد العمل.

إذن فالحجة العملية هي حجية نظرية مشوبة بعمل. كما أنها أبلغ في البيان عن الحجية النظرية؛ لأن الحجية النظرية والعصمة النظرية (كلاهما بمعنى واحد) تؤمنان لنا العصمة والأمن من الزلل في التلقي النظري، في حين إنها لا تشمل الأمن من الخطأ في السلوك العملي.

بينما الحجية العملية فهي التلقي النظري وعصمته مفروغ عنهما فضلاً عن الأمان والعصمة في التطبيق العملي، ومن ثَمَّ فتكون أبلغ في الأمان في علو درجة العصمة ومنزلتها من الحجية النظرية وحدها.

إذن فالرضا والغضب اللذين أشار إليهما النبي (صلى الله عليه وآله) في حديثه لا بُدَّ أن يكونا تابعين لإرادة الله تعالى، ومع هذا فإنّ رضا فاطمة (عليها السلام) سيكون متبوعاً من قبل غضب ورضا الله تعالى، لا أن هذه المتبوعية على مستوى الكشف، أي كاشفة عن رضا وغضب الله تعالى، على أن رضا الله تعالى وغضبه هو المتبوع أصلاً، ومن هنا يمكن أن نستدل في ذلك على اطلاعها العلمي بإرادات الله تعالى ورضاه فضلاً عن موارد غضبه، مما يؤكد وجود العلم اللدني لدى فاطمة (عليها السلام) للملازمة بين هذا العلم وبين الاطلاع على كل الجزئيات التي لا يتم الاطلاع عليها بدقائقها وأسرارها وغوامضها إلا بالعلم اللدني الذي يخص الله به أولياءه وحججه المقربين والتي أظهر مصاديقها وأتمها فاطمة الزهراء (عليها السلام).

المحسن السبط مولود أم سقط؟

كتب وألف ونظم وجمع وأخرج المئات من المؤلفين وأصحاب القلم وذوي العلم عن تأريخ وحياة ودور بضعة النبي الأعظم فاطمة الزهراء (صلوات الله عليهما).. ولم يقتصر ذلك على اللغة العربية الأم، بل ناهز معظم لُغات الأرض..

أثبت الكتّاب الحدث التاريخي الأهم، وهو الانقلاب والردة بعد الهداية على دين سيد الكائنات النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله).. وذلك من خلال تجاوز الأمر الإلهي في يوم الغدير والوصول بالجرأة والوقاحة بالاعتداء على بيت آل النبي الأعظم بيت فاطمة (صلوات الله عليهم)، والوصول لحرقه وضرب روح النبي التي هي بين جنبيه، وإسقاط سبط النبي الأعظم المحسن.

والحديث عن المحسن يعتبر صعباً في نفس الوقت؛ لقلّة النصوص التأريخيّة المتعلّقة به التي تصرّح بحصول إسقاطه، ذلك بسبب التلاعب والتحريف الذي تعرّضت له السنّة النبويّة الشريفة على أيادي وعّاظ السلاطين، الذين أغرّتهم أموال الأمويين، فجعلتهم يكتمون حقائق واضحة رووها وقرأوها وثبتت صحّتها عندهم، ولما يترتب عليه من أمور عقائدية شائكة تهز كيان الآلهة التي عُبدت وخُدع بها المسلمون.

سماحة آية الله العلامة والمؤرخ الإسلامي الكبير السيد محمّد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان سبر أغوار التأريخ وأثبت الجرم الذي حاق بأهل بيت النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وأثبت كعادته من المدونات التي لا شك فيها بكل صدق وعلمية ومهنية عالية.

أثبت ومن خلال مدرسة السقيفة ذاتها أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) كان قد أتحف أسباطه الثلاثة: (الحسن، والحسين، والمحسن) بالاسم الذي اختاره الله، مناقشاً حيثيات وجدليات النفي والإثبات، ليخرج للعين ما أريد وأده لإخفاء الجريمة الكبرى.

أحصى سماحته بطون كتب السير والمدونات والأنساب والتاريخ.. لم يصادر سماحته أحوال الرجال والرواة _موغلاً في تطبيق علمي الرجال ودراية الحديث_ ليؤرخ ويُثبت ويؤكد.. شهادة سبط النبي الأعظم المحسن الشهيد (صلوات الله عليهما).

مناظرة السيد مصطفى مرتضى العاملي

مع بعضهم في تفضيل الزهراء(ع) على مريم (ع).

سألني سائل فقال: مَنْ أفضل؟ أفاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أم مريم بنت عمران (عليها السلام)؟

قلت: وما يعنيك من هذا؟ وماذا يفيدك؟ فإن لكلٍ فضلها ـ صلوات الله وسلامه عليهما.

قال: أحب أن أعلم ذلك؛ لأنّ الله ذكر مريم في القرآن، ولم يذكر فاطمة (عليها السلام).

قلت: إنّ الله قصَّ في القرآن أخبار الماضين، فذكر الأنبياء، وبعض الصلحاء، وذكر الملوك وذكر بعض من هم على شاكلتهم من المتمردين.

كذلك ذكر من النساء الصالحات امرأة إبراهيم، وامرأة فرعون، ومريم بنت عمران، ولم يذكر أحداً ممن كان في عصر النبي (صلى الله عليه وآله) إلاّ ما ذكره من قصّة زيد بن حارثة مع زوجته، وذلك لحكمٍ شرعي كان (صلى الله عليه وآله) مكلّفاً بتطبيقه عملياً بنفسه.

قال: وهل تظن أني أقنع منك بهذا، وألتزم السكوت عما سألتك عنه، إنني أحمق لو فعلت ذلك.

قلت: أنت أحمق بسؤالك، ولأنك أحمق لست تقتنع بما قلته لك، ولكن قبل الشروع في أيّهما أفضل، لا بُدّ من تقديم مقدمة تمهيداً للبحث.

قال: فهات.

قلت: إن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بعثه الله تعالى لهداية الناس إلى الصراط المستقيم، وليعرفهم ما كانوا يجهلون، فأورد فيه من الأمثال والقصص ما فيه معتبر للعاقل، فيتحصل بذلك فوائد:

منها: الدلالة على صحّة الرسالة المحمدية، حيث إنّه (صلى الله عليه وآله) لم يقرأ كتاباً، ولم يختلف إلى معلّم، بل كان أجيراً راعياً، فمن أين له معرفة هذه القصص التي يجهلها أهل التاريخ ؟ ومن أين له بهذه القوانين والنظم الأخلاقية والاجتماعية التي قلبت العالم رأساً على عقب، وحوَّلت الناس من همجية الجاهلية، ووحشية العصبية، إلى سعة العدل والإنصاف والمساواة، وجعلتهم بعد العداوة والبغضاء إخواناً.

ومنها: الترغيب في الأعمال الصالحة والصبر عليها مهما كان العمل فيها شاقاً، والعناء شديداً، فإنّ من نظر في أحوال الأنبياء والصلحاء، وما عانوا من المشقات، وقاسوا من المحن، ليجد أن النصر والفلاح كان لهم أخيراً، وآبوا بحسن العاقبة، وباء غيرهم بالخسران.

ومنها: التحذير من بأس الله وانتقامه، وتأييد ذلك بما حصل في الأمم السالفة من أنواع العقوبات.

والذي يبعث إلى الناس أنّما يخبر عمَّن تقدمه قبلاً، وعن قصصهم وأخبارهم، لا أن يحدّث عن تاريخ ولادته وقصة حياته، وأحوال أهله وأولاده، فإن ذلك معلوم عند المعاصرين له، فحديثه عن كل هذا أنّما يكون من قبيل تحصيل الحاصل، فلا معنى له إذاً.

ومريم كانت ممّن تقدّم البعثة، وفي قصّتها شُبَهٌ وأحوال غريبة، فيحسن الحديث عنها لإزالة الشبهة، ورد الأمر إلى حقيقته، وفاطمة (عليها السلام) لم تكن كذلك، ولا حصلت معها أي شبهة.

وقد ذكر في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى: (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)، "اصطفاك": أي اختارك، وألطف لك، حتى تفرغت لعبادته وأتباع مرضاته، وقيل: اصطفاك لولادة المسيح.. عن الزجاج، "وطهرك"، بالإيمان عن الكفر، وبالطاعة عن المعصية.. عن الحسن وسعيد بن جبير، وقيل: طهرك من الأدناس والأقذار التي تعرض للنساء من الحيض والنفاس، حتى صرتِ صالحة لخدمة المسجد، عن الزجاج.

وقيل: طهرك من الأخلاق الذميمة، والطبائع الرّدية، (وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)، أي على نساء زمانك؛ لأنّ فاطمة بنت رسول الله ـ صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها ـ سيدة نساء العالمين، وهو قول أبي جعفر (عليه السلام).

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: فضلت خديجة على نساء أمّتي كما فضلت مريم على نساء العالمين، وقال أبو جعفر عليه السلام: معنى الآية: اصطفاك من ذرية الأنبياء، وطهرك من السفاح، واصطفاك لولادة عيسى عليه السلام من غير فحل، وخرج بهذا من أن يكون تكريراً، إذ يكون الاصطفاء على معنيين مختلفين، (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ) أي اعبديه، وأخلصي له العبادة... عن سعيد بن جبير، وقيل: معناه: أديمي الطاعة له... عن قتادة، وقيل: أطيلي القيام في الصلاة.. عن مجاهد، (واسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)، أي كما يعمل الساجدون والراكعون، لا أن يكون ذلك أمراً لها بأن تعمل السجود والركوع معهم في الجماعة، وقدم السجود على الركوع؛ لأنّ الواو لا توجب الترتيب، فإنها في الأشياء المتغايرة نظيرة التثنية في المتماثلة، وإنما توجب الجمع والاشتراك، وقيل: معناه: واسجدي لله شكراً واركعي، أي وصلّي مع المصلين، وقيل: معناه: صلّي في الجماعة... عن الجبائي

قال الرجل: أليس إطلاق "العالمين" يدفع كونها مصطفاة على نساء عالم عصرها.

قلت: الظاهر ما ذكرت، ولكن قد تقدّم ـ عن مجمع البيان ـ أن الاصطفاء يكون على معنيين مختلفين، فالاصطفاء المطلق: معناه الاختيار، وهو يفيد معنى التسليم، والاصطفاء المتعدي بـ "على" أيضاً معناه الاختيار، ولكنه يفيد معنى التقديم، إذا نستطيع القول بأن اصطفاءها على نساء العالمين هو تقديم لها عليهن.

ولكن هذا التقديم أهو من جميع الجهات، أم من بعضها، فإن كان من جميع الجهات فلا مشاحة في فضلها، هي أفضل من الجميع، فاطمة فمن دونها، وإن كان هذا التقديم من بعض الجهات، فلنا: فيه نظر.

ظاهر الآيات التي تتعرض لقصة مريم تفيد التبعيض، فبعد آية بعد هذه الآية يقول: (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَالِحِينَ...) إلخ، وفي سورة الأنبياء: (وَالتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ)، وفي سورة التحريم: (وَمَرْيَمَ ابنَةَ عِمْرَانَ التي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا...) إلخ، ونصوص هذه الآيات لم تشتمل إلا على شيء واحد، اختصت به من بين سائر النساء، وهو ولادة المسيح العجيبة منها من غير ملامسة ذكر، فإذاً لا وجه لاصطفائها وتقديمها على نساء العالمين إلا هذا الوجه.

وأمّا غير ذلك مما اشتملت عليه الآيات، كالتطهير والتصديق بكلمات الله وكتبه، وكلام الملائكة معها والقنوت وغير ذلك، فلا يختص بها، بل يوجد عند غيرها كما يوجد عندها.

وكذلك نداء الملائكة، وأمرهم لها بالقنوت والسجود والركوع أنما هو أمرٌ لها بالشكر وتعليم لها إيّاه، وتوجيه كيف تكون العبادة.

فمريم مصطفاة على نساء العالمين لأمر خاص، وهذا الأمر الخاص أنّما كان لإزالة شبهة كانت في عصر مريم (عليها السلام) وهو ردّ دعوى الماديين بقدم العالم، وإنكارهم بدء الخليقة.

وإن لفاطمة (عليها السلام) من الفضل عليها استعانة النبي (صلى الله عليه وآله) بها لدفع الشبهة الحاصلة، من جراء ولادتها للمسيح، وقولهم: إنه ابن الله، فقد جعلوها زوجة لله، تعالى الله عن ذلك، ومريم اتهمت بالسوء، فوجب حينئذٍ ذكر اسمها، والشهادة لها بالبراءة والطهارة والعصمة، ولولا شهادة القرآن لها بذلك لما استطاع أحد إثبات براءتها وطهارة نفسها.

قال: إني مقتنع بهذا الذي ذكرت، ولكن هل من دليل غير هذا يكون كالشاهد له.

قلت: إن في قوله (عزّ وجلّ): (اللهُ أَعْلَمُ حيثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه)، ما يعطي أن الله (عزّ وجل) لا يختار لرسالته إلا من علم منه الإخلاص له والاجتهاد في مرضاته، وعدم الهم بمعصيته، كما ورد في بعض الأخبار أنه أوحى إلى موسى (عليه السلام): يا موسى، أتدري لماذا اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي؟ فقال: لا يا رب، فقال: إنّي نظرت في قلوب عبادي فلم أجد أحداً أذل إليَّ نفساً منك، وعلى هذا فالأنبياء هم أفضل الخلق وأشرفهم، وكل نبي فلا بُدَّ أن يكون أشرف أهل زمانه، فهو سيد أهل زمانه، وحيث إنَّ محمداً (صلى الله عليه وآله) هو سيد النبيّين، فذريته أشرف من ذراري الأنبياء السابقين، وأمّته أشرف من الأمم الماضية.

وإنَّ الله (عزّ وجلّ) اختار مريم ليجعلها وابنها آية، وإن الذي حصلت لتصديقه الآية أو حصلت على يده الآية، لهو أفضل من الآية، فإن كانت المعجزات آيات، فأصحاب المعجزات آيات أعظم من الآيات، وإذا كان محمد (صلى الله عليه وآله) أشرف من أولي العزم، ومنهم عيسى عليه السلام ففاطمة (عليها السلام) أشرف من جميع نساء الأمم، ومنهم مريم (عليها السلام)، ومريم شُرّفت بعيسى، ففاطمة محاطة بالشرف من جميع نواحيها، أبوها النبي الأعظم، وأُمّها ساعدت ذلك النبي الأكبر، والإسلام لم يقم إلا بمال خديجة (عليها السلام) وسيف علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وبعلها سيد الوصيّين، وولداها سيدا شباب أهل الجنّة، وهي سيدة نساء العالمين، وأُمّ الأئمّة الميامين.

إنّ في قوله تعالى: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهلَ البيتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطهيراً)، دلالة هي أعظم الدلالات على شرفها العظيم وفضلها العميم، فالرجس، معناه: كل نجاسة حسيّة ومعنويّة، فهو يشمل كل ما يتعلق بذلك، ولو أنها باطلة، وأن ما اتهمت به مريم وإن كان كذباً وإفكاً وزوراً ولكن الناس قالوا: وإن الشاعر العربي يقول:

قد قيل ذلك إن صدقاً وإن كذباً * فما اعتذارك من قول إذا قيلا؟

وإن مريم طهرها الله، ولكن لم يذكر المصدر مؤكداً له، كما أكدَّ التطهير بالمصدر في الآية الكريمة.

ولو أكد ذلك لمريم، بأن يقول: وطهّرك تطهيراً، لما استطاع أحدٌ أن ينسب إليها شيئاً من القبيح.

وفي حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله): علماء أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل، وفي رواية أفضل من أنبياء بني إسرائيل، فإذا كان العلماء في هذه الأمّة أفضل من الأنبياء وليس العلماء بالمعصومين، فلم لا تكون فاطمة (عليها السلام) أفضل، وهي الطاهرة الزكية النقية المعصومة، وفي هذا كفاية لمن تدبر، والحمد لله ربّ العالمين.

مودعة في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٢٦) عام ٢٠١٢ م .

لوعة الزهراء وشجونها

العلامة الشيخ باقر شريف القرشي

وأعظم المآسي التي مرَّت بالإمام هو ما حلّ بابنة الرسول وبضعته من الآلام القاسية التي احتلّت قلبها الرقيق المعذّب على فقد أبيها الذي كان عندها أعزّ من الحياة، فكانت تزور جدثه الطاهر وهي حيرى قد أخرسها الخطب، وتأخذ حفنة من ترابه فتضعه على عينيها ووجهها وتطيل من شمّه، وتقبيله، وتجد في ذلك راحة، وهي تبكي أمرّ البكاء وأشجاه، وتقول: ما ذا على مَن شمّ تربة أحمد *** أن لا يشمّ مدى الزّمان غواليا

صُبّت عليَّ مصائبٌ لو أنّها ... صُبّت على الأيّام صرْنَ لياليا
قل للمغيّب تحت أطباق الثرى ... إن كنتَ تسمعُ صرختي وندائيا
قد كنتُ ذات حمى بظلّ محمّد ... لا أخشى من ضيم وكان جماليا
فاليومَ أخضعُ للذليل واتّقي ... ضيمي وأدفعُ ظالمي بردائيا
فإذا بكت قمريّة في ليلها ... شجناً على غصنٍ بكيتُ صباحيا
فلأجعلنّ الحزن بعدك مؤنسي ... ولأجعلنّ الدّمع فيك وشاحيا

وصوّرت هذه الأبيات مدى حزن زهراء الرسول ولوعتها على فقد أبيها، الذي أخلصت له في الحبّ كأعظم ما يكون الإخلاص، كما أخلص لها، وإنّ مصابها القاسي عليه لو صبّ على الأيام لخفت ضياؤها وعادت قاتمة مظلمة.

وصوّرت هذه الأبيات الحزينة مدى منعتها وعزّتها أيّام أبيها، وبعد فقدها له صارت بأقصى مكان من الهوان، فقد تنكّر لها القوم، وأجمعوا على هضمها، والغضّ من شأنها، حتّى صارت تخضع للذليل وتتّقي من ظلمها بردائها.

وخلدت وديعة الرسول إلى البكاء والأسى حتّى عدّت من البكائين الخمسة الذين مثلوا الحزن على امتداد التاريخ.

وبلغ من عظيم وجدها على أبيها أنّ أنس بن مالك استأذن عليها ليعزّيها بمصابها الأليم، وكان ممّن وسّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلّم في مثواه الأخير، فقالت له: "أنس بن مالك هذا ؟...".

نعم، يا بنت رسول الله..

فقالت له بلوعة وبكاء:

"كيف طابت نفوسكم أن تحثوا التّراب على رسول الله"، وقطع أنس كلامه، وهو يذرف أحرّ الدموع، وقد هام في تيارات من الأسى والشجون.

وبلغ من عظيم وجد زهراء الرسول أنّها ألحّت على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يريها القميص الذي غسّل فيه أباها، فجاء به إليها، فأخذته بلهفة وهي توسعه تقبيلاً وشمًّا؛ لأنّها وجدت فيه رائحة أبيها الذي غاب في مثواه.

وخلدت بضعة الرسول إلى البكاء في وضح النهار وفي غلس الليل، وثقل ذلك على القوم، فشكوها إلى الإمام وطلبوا منه أن تجعل لبكائها وقتاً خاصًّا؛ لأنّهم لا يهجعون ولا يستريحون، وعرض الإمام عليها ذلك، فأجابته إلى ما أراد، فكانت في النهار تخرج خارج المدينة وتصحب معها ولديها الحسن والحسين وبنتها زينب، فتجلس تحت شجرة من الأراك وتبكي أباها طيلة النهار، فإذا أوشكت الشمس أن تغرب قفلت راجعة مع أولادها إلى البيت الذي خيّم عليه الحزن والبكاء، وعمد القوم إلى تلك الشجرة فقطعوها! فصارت تبكي في حرّ الشمس، فقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فبنى لها بيتاً أسماه "بيت الأحزان" فاتّخذته مقرًّا لبكائها، ونسب إلى مهدي آل محمّد (عجّل الله فرجه) أنّه قال فيه:

"أم تراني اتّخذت - لا، وعلاها - بعد بيت الأحزان بيت سرور".

وأثّر الحزن المرهق بوديعة النبيّ، حتّى فتكت بها الأمراض وذوت كما تذوي الأزهار.. وبادرت السيّدات من نساء المسلمين إلى عيادتها فقلن لها:

كيف أصبحت من علّتك يا بنت رسول الله ؟..

فرمقتهنّ بطرفها، وأجابتهنّ بصوت خافت مشفوع بالأسى والحسرات:

"أجدني كارهة لدنياكم، مسرورة لفراقكنّ، ألقى الله ورسوله بحسراتكنّ، فما حفظ لي الحقّ، ولا رعيت منّي الذّمّة، ولا قبلت الوصيّة، ولا عرفت الحرمة...".

وحكت هذه الكلمات مدى آلامها وشجونها من تقصير القوم بحقّها، فما حفظوا حقّها ولا رعوا وصيّة النبي فيها.

وبلغ من كراهتها لنساء القوم أنّهنّ طلبن حضورهنّ عند وفاتها فقلن لها:

يا بنت رسول الله، صيّري لنا في حضور غسلك حظّا؟

فأبت وقالت بمرارة:

"أتردن أن تقلن فيّ كما قلتنّ في أمّي؟! لا حاجة لي في حضوركنّ..."

حبّ فاطمة الزهراء (عليها السلام).

السيد تقي يوسف الحكيم

فاطمة الزهراء (عليها السلام) من أهل البيت الذين وجبت علينا محبّتهم، وحبّ الزهراء (عليها السلام) نابع من حبّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلّم لها، فهي أمّ أبيها وبضعته وروحه التي بين جنبيه، وكان (صلى الله عليه وآله) وسلّم يحبّها حبًّا لا يشبه محبّة الآباء لبناتهم، تلك المحبّة التي تنبعث من العاطفة الأبوية وحسب، بل كان حبّه (صلى الله عليه وآله) وسلّم لها مشوباً بالاحترام والتبجيل؛ وذلك لما تتمتع به الزهراء (عليها السلام) من الفضائل الفريدة والمواهب والمزايا الفذّة، فهي ابنة الإسلام الأولى التي درجت وترعرعت في أحضان النبوّة، وشبّت في كنف الإمامة، وهي المعصومة من كلّ دنس وعيب، فكانت المرأة المثلى في الإسلام، والجديرة بالاقتداء بها في كل عصر ومصر.

وما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلّم يدع فرصة أو مناسبة تمرُّ إلّا ونوّه بعظمة الزهراء (عليها السلام) وإظهار فضلها وبيان مكانتها عند الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) وسلّم، وذلك لكي يحثّ المسلمين على مودّتها والتقدير لها من بعده؛ لأنّها بقيته الباقية وأُمّ الأئمّة المعصومين وقادة المسلمين المحافظين على رسالة الإسلام وسنّة جدّهم المصطفى (صلى الله عليه وآله) وسلّم.

وفيما يلي بعض ما جاء عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وسلّم وما حكي من سيرته (صلى الله عليه وآله) وسلّم في محبّة الزهراء (عليها السلام):

١ ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلّم: "فاطمة بضعة منّي، مَن أغضبها أغضبني".

٢ ـ وقال (صلى الله عليه وآله) وسلّم: "فاطمة بضعة مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها".

٣ ـ وقال (صلى الله عليه وآله) وسلّم: "يا فاطمة، إنّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك".

٤ ـ روي عن عائشة أنّها قالت: ما رأيت أحداً أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلّم من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) وسلّم إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبّلته وأجلسته في مجلسها.

٥ ـ وروي أنّ عائشة سُئلت: أيّ الناس كان أحبَّ إلى رسول الله ؟ قالت: فاطمة. قيل: ومن الرجال ؟ قالت: زوجها.

٦ ـ وعن بريدة، قال: كان أحبّ النساء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلّم فاطمة، ومن الرجال علي.

ورغم ثبوت محبّة الزهراء (عليها السلام) قرآناً وسُنّة كما تقدّم، فإنّها تعرضت عقيب وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله) وسلّم لأبشع أنواع التعسف والظلم، فقد سلبوها ميراث أبيها، وأغضبوها وآذوها حتّى اضطرت إلى المواجهة والاحتجاج بما جاء على لسان أبيها المصطفى (عليها السلام) من فرض محبّتها ومودّتها على المسلمين، حيث قالت: "نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلّم يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبني ؟" قالا: نعم... وكأنّ القوم لم يسمعوا بذلك، بل لم يسمعوا أن الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها!! وأنّ الله تعالى قال: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) فباءوا بهذا الخطر العظيم حينما ودّعت الزهراء (عليها السلام) هذه الحياة وهي غضبى عليهم غير راضية عنهم.

مودة الزهراء(عليها السلام) أجر الرسالة

وروى جابر (رضي الله عنه) أنّ أعرابياً جاء إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمّد! أعرض عليّ الإسلام، فقال: تشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، قال: تسألني عليه أجراً ؟ قال: لا إلاّ المودّة في القربى، قال: قُرباي أو قرباك ؟ قال: قرباي، قال: هات أبايعك، فعلى مَن لا يحبّك ولا يحبّ قرباك لعنة الله، قال: آمين. وفسّر مجاهد هذه المودّة بالاتّباع والتصديق لرسول الله وصلة رحمه، وفسّرها ابن عباس بحفظه في قرابته.

وذكر الزمخشري أنّ هذه الآية لمّا نزلت قيل: يا رسول الله، مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ قال: عليٌّ وفاطمة وابناهما.

الزهراء (عليها السلام) في آية المباهلة:

أجمع أهل القبلة حتى الخوارج منهم على أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لم يَدْعُ للمباهلة من النساء سوى بضعته الزهراء، ومن الأبناء سوى سبطيه وريحانتيه الحسن والحسين (عليهما السلام) ومن الأنفس إلاّ أخاه عليًّا (عليه السلام) الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، فهؤلاء أصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها، لم يشاركهم فيها أحد من العالمين، كما هو بديهيّ لكل من ألمّ بتاريخ المسلمين، وبهم خاصّة نزلت لا بسواهم.

لقد باهل النبيّ (صلى الله عليه وآله) بهم خصومه من أهل نجران، فانتصر عليهم، وأُمّهات المؤمنين كنّ حينئذٍ في حجراته (صلى الله عليه وآله) فلم يدعُ واحدةً منهنّ، ولم يدعُ صفيّة وهي شقيقة أبيه، ولا أمّ هاني وهي كريمة عمّه، ولا واحدةً من نساء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من المهاجرين والأنصار.

كما أنّه لم يدعُ مع سيديّ شباب أهل الجنة أحداً من أبناء الهاشميين ولا أحداً من أبناء الصحابة، وكذلك لم يدعُ مع عليّ أحداً من عشيرته الأقربين ولا واحداً من السابقين الأوّلين، وإنّما خرج وعليه مرط من شعر أسود ـ كما يقول الرازي في تفسيره ـ وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيّ إلى يوم القيامة.

قال الرازي بعد نقل هذا الحدث: هذه الآية دالّة على أنّ الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا ابني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وَعَدَ أن يدعو أبناءه فدعا الحسن والحسين (عليهما السلام) فوجب أن يكونا ابنيه.

الزهراء (عليها السلام) عند سيّد المرسلين (صلى الله عليه وآله)

(إنّ الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها).

(فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني ومن أحبّها فقد أحبّني).

(فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيَّ).

(فاطمة سيّدة نساء العالمين).

لقد تواترت هذه الشهادات وأمثالها في كتب الحديث والسيرة عن رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) الذي لا ينطق عن الهوى ولا يتأثر بنسب أو سبب، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

إنّ الرسول الذي ذاب في دعوته وكان للناس فيه أسوة فأصبحت خفقات قلبه ونظرات عينه ولمسات يده وخطوات سعيه وإشعاعات فكره: قوله وفعله وتقريره (أي: سنّته) بل وجوده كلّه مَعْلَماً من معالم الدين ومصدراً للتشريع ومصباحاً للهداية وسبيلاً للنجاة.

"إنّها أوسمة من خاتم الرسل على صدر فاطمة الزهراء (عليها السلام)، تزداد تألقاً كلّما مرّ الزمن، وكلّما تطوّرت المجتمعات، وكلّما لاحظنا المبدأ الأساس في الإسلام في كلامه (صلى الله عليه وآله) لها: يا فاطمة، اعملي لنفسك فإني لا أغني عنكِ من الله شيئاً".

وقال (صلى الله عليه وآله): "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلاّ مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد".

وقال (صلى الله عليه وآله): (إنّما فاطمة شجنة منّي، يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها، وإنّ الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري...".

وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم وقد أخذ بيد فاطمة (عليها السلام) وقال: (مَن عرف هذه فقد عرفها ومَن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة منّي، وهي قلبي الذي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله).

وقال (صلى الله عليه وآله): (فاطمة أعزّ البريّة عليَّ).

ولا يصعب علينا تفسير هذه النصوص بعد الإلمام بعصمتها (عليها السلام)، بل هي شاهدة على عصمتها وأنّها لا تغضب إلاّ لله ولا ترضى إلاّ له.

الزهراء (عليها السلام) عند الأئمة والصحابة والمؤرّخين:

عن عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام): "لم يولد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) من خديجة على فطرة الإسلام إلاّ فاطمة".

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): "والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم".

وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): "إنّما سُمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها".

وعن ابن عباس: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً ذات يوم وعنده عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: "اللهمّ إنّك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ، فأحبب مَن أحبّهم وأبغض مَن أبغضهم ووالِ مَن والاهم وعادِ مَن عاداهم، وأعن مَن أعانهم واجعلهم مطهّرين من كلّ رجس، معصومين من كلّ ذنب وأيّدهم بروح القدس منك".

وعن أمّ سلمة أنّها قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشبه الناس وجهاً وشبهاً برسول الله (صلى الله عليه وآله).

وعن عائشة أنّها قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلاّ أن يكون الذي ولدها، وكانت إذا دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قام فقبّلها ورحّب بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبّلته وأخذت بيده وأجلسته في مجلسها، وكان الرسول دائماً يختصّها بسرّه ويرجع إليها في أمره.

وعن الحسن البصري أنّه ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تورّم قدماها.

ودخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السنّ، وله وقرة، فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه، ثم أخذ عكنة من عكنه فغمزها حتى أوجعه وقال له: اذكرها عند الشفاعة.

فلما خرج لامَهُ أهله وقالوا: فعلت هذا بغلام حديث السن، فقال: إنّ الثقة حدّثني حتى كأنّي أسمعه من في رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "إنّما فاطمة بضعة منّي يسرّني ما يسرّها" وأنا أعلم أنّ فاطمة (عليها السلام) لو كانت حيّة لسرّها ما فعلت بابنها، قالوا: فما معنى غمزك بطنه، وقولك ما قلت؟ قال: إنّه ليس أحد من بني هاشم إلاّ وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا.

قال ابن الصبّاغ المالكي:... وهي بنت من أُنزل عليه (سبحان الذي أسرى)، ثالثة الشمس والقمر، بنت خير البشر، الطاهرة الميلاد، السيّدة بإجماع أهل السداد.

وقال الحافظ أبو نعيم الإصفهاني عنها: "من ناسكات الأصفياء وصفيّات الأتقياء فاطمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ السيّدة البتول، البضعة الشبيهة بالرسول... كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة.

وقال عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي: وأكرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة إكراماً عظيماً أكثر مما كان الناس يظنّونه... حتى خرج بها عن حبّ الآباء للأولاد، فقال لمحضر الخاص والعام مراراً لا مرّة واحدة وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد: "إنّها سيّدة نساء العالمين، وإنّها عديلة مريم بنت عمران، وإنّها إذا مرّت في الموقف نادى منادٍ من جهة العرش: يا أهل الموقف غضّوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد"، وهذا من الأحاديث الصحيحة وليس من الأخبار المستضعفة، وكم قال لا مرّة: "يؤذيني ما يؤذيها ويغضبني ما يغضبها، وإنّها بضعة منّي يريبني ما رابها".

وقال المؤرّخ المعاصر الدكتور علي حسن إبراهيم: وحياة فاطمة هي صفحة فذّة من صفحات التاريخ نلمس فيها ألوان العظمة، فهي ليست كبلقيس أو كليو بطرة استمدّت كلّ منهما عظمتها من عرش كبير وثروة طائلة وجمال نادر، وهي ليست كعائشة نالت شهرتها لما اتصفت به من جرأة جعلتها تقود الجيوش وتتحدّى الرجال، ولكنّا أمام شخصية استطاعت أن تخرج إلى العالم وحولها هالة من الحكمة والجلال، حكمة ليس مرجعها الكتب والفلاسفة والعلماء، وإنّما تجارب الدهر المليء بالتقلّبات والمفاجآت، وجلال ليس مستمداً من ملك أو ثراء وإنّما من صميم النفس.

سنة: ١٤٣٨هـ

سنة: ١٤٣٩هـ.

سنة: ١٤٤٠هـ.

معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين (١٢٧٨)

سنة: ١٤٤١هـ.

سنة: ١٤٤٢هـ.

مودعة في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٢٦) عام ٢٠١٢ م .

ولولا فاطمة لما خلقتكما

السيد عادل العلوي

الحديث عن سيّدتنا ومولاتنا وشفيعة ذنوبنا وطبيبة قلوبنا فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وأنّها من سرّ الوجود وهي من الحجّج الإلهية، فلا بُدّ أن نعرفها بمعرفة جلالية في أفعالها وأقوالها وجمالية في صفاتها وسلوكها، وكمالية في ذاتها وسيرتها، ولا بُدّ من زيادة المعرفة؛ لأنّ الفضل لا يكون إلاّ بالمعرفة، فكلّما ازداد الإنسان معرفة ازداد حبًّا، فإنّ العارف هو المحبّ، وكلما ازداد حبًّا ازداد طاعةً وعملاً، وازداد قرباً من الله تعالى: (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ).

فرفع الدرجات في يوم القيامة لأهل العلم والمعرفة، فإذن لنعرف فاطمة الزهراء بما يمكننا ذلك، ولكن قبل هذه المعرفة أذكر بأنّنا قد ذكرنا معنى الوجود والموجود والفرق بينهما، فإن الوجود من البديهيات، وأنه الظاهر بنفسه والمظهر لغيره كالنور، والموجود هو الذات، أي الماهية التي ثبت لها الوجود كما ذكرنا دليل العلّة والمعلول، وأنّ بينهما سنخية، وبيّنا ما معنى ذلك في محلّه.

وأمّا الآن فنقول: إنّ قانون العلّة والمعلول أقوى من القوانين الرياضية، وهو الحاكم على كل هذا الكون، فبه برهنّا على صحّة ما ورد في الحديث الشريف (حديث المعراج) قال الله تعالى لنبيه الأعظم في معراجه: "لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولو لا فاطمة لما خلقتكما"

فإن هذا الحديث يطابق قانون العلة والمعلول في العقليات، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو العلة الغائية للكون، ولكل علة معلول من سنخها، فمعلول النبي أمير المؤمنين علي فهو نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنص آية المباهلة "أنفسنا وأنفسكم" فلولا علي مثل هذا المعلول، لما كان مثله رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مقام العلية الغائية للكون بأسره، ثم كلاهما النبي والوصي بمنزلة العلة ولا بُدَّ من معلول من سنخهما وليس في الوجود مثل هذا المعلول إلا فاطمة الزهراء، فهي الجامعة بين نوري النبوة والإمامة، وهي العصمة الكبرى فهي بمنزلة المعلول لهما، ولولاها لما خلق الله النبي والوصي علّة غائية.

هذا وجه عقلي لتفسير الحديث المعراجي، ولكي يتّضح المطلب أكثر ويكون بلغة الجمهور سأذكر وجهاً آخر للحديث الشريف حتّى لا يتبادر إلى الذهن أنّ عليًّا أفضل من النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأنّ فاطمة أفضل منهما، وسيكون بيان ذلك بالمثال الحسّي: الإنسان هو الجرم الذي انطوى فيه العالم المادّي الكبير والعالم المجرّد الأكبر؛ لأنّ جسده من الأرض وروحه وعقله من السماء، فهو ذو بعدين: بُعدٌ سماوي وبعدٌ أرضي، وقد ركّب في بدنه عقل وروح وشهوة، وفي هذا البدن المادّي دماغ الذي هو محط العقل، وفيه القلب الذي هو محط الروح، وفيه الطحال الذي له دور في تصفية الدم الذي يذهب إلى القلب، فبدن الإنسان حيّ بدماغه، ولولا هذا الدماغ لما كان له قيمة تذكر؛ لأنّ الدماغ هو المدبّر لبدن الإنسان، ولكن لولا القلب لما كان للدماغ دوره الذي وجد من أجله، وليس هذا يعني أنّ القلب أهمّ من الدماغ، بل إنّ الدماغ أهمّ وأشرف من القلب، ولكن للقلب دور يجعل البدن يتحرّك، ذلك البدن الذي سلطانه الدماغ ومدبّره الدماغ، ولكي يبقى البدن مستمرّ الوجود، لا بُدَّ له من القلب، وهذا القلب الذي يضخّ منه الدم، يحتاج إلى مصفاة تصفّي هذا الدم وليس هناك إلاّ الطحال، فهو الذي يؤدّي هذا الدور، وهذا المثال للتقريب بالحسّ، مع العلم أنّ المثال يقرّب من جهة ويبعد من ألف جهة ولا مناقشة في المثال.

ولكن نريد أن نقول: إنّ هذه الأعضاء كلّ واحد منها له دوره الخاصّ، وقولنا: لولا العقل لما كان الجسد، ولولا القلب لما كان العقل، ولولا الطحال لما كان القلب، لا يعني أنّ القلب أفضل من العقل أو أنّ الطحال أفضل منهما، فليس المقام لبيان الأفضلية، فإنّ الأفضلية محفوظة بينها، وهكذا المعنى في الحديث الشريف: "لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما".

ثمّ إنّ الإمام هو عقل عالم الإمكان أو قلبه، كما ورد في الرواية التي ذكرت محاججة هشام بن الحكم مع ذلك الرجل في البصرة عندما قال له: ما هو أثر العين؟ قال: ننظر بها، وما هو أثر الأُذن؟ قال: نسمع بها، وما هو أثر القلب؟ قال: نميّز به الحقّ من الباطل، فقال هشام: هكذا هو الإمام، فالإمام سرّ الوجود، وبه ثبتت السماوات والأرض، ولولاه لساخت الكائنات والأرض بأهلها، ومعنى سرّ الوجود أي باطن الوجود، فلذلك يعبّر عن الخفي بالسرّ، أي الباطن وليس الظاهر، وعندما نقول للميّت: قدّس سرّه، أي قدّس الله نفسه، والنفس أمر خفي فتكون سرًّا، كما يقال في المثل: (الولد على سرّ أبيه)، أي على خلق ونفس أبيه، وهكذا أهل البيت (ع) سرّ الوجود أي باطن الوجود.

أيّها الإخوة الأعزّاء: نحن الآن في عصر الغيبة الكبرى، عصر الغربلة والبلبلة والامتحان والشبهات والتشكيك، فالتزموا الدعاء لكي تنجوا من هذه الهزّات الفكرية، ولكي تبتعدوا عن الشكّ بالله ورسوله وأهل البيت (عليهم السلام) لا سيّما صاحب الأمر (عجل الله تعالى فرجه)، فعليكم بدعاء الغريب الذي مطلعه: "اللهمّ عرّفني نفسك..." لأنّ مَن لم يعرف الله تعالى سوف يجهل رسول الله، ويجهل الحجّة فيقع في الضلال، فيموت ميتة الجاهلية؛ لأنّ مَن لم يعرف إمام زمانه يموت ميتة الجاهلية، فلا بُدّ من معرفة الحجج (عليهم السلام) الذين عددهم بعدد الأسباط وبعدد الحواريين، حيث إنّ عددهم اثنا عشر خليفة وكلّهم من قريش، كما ورد في الصحيحين عند الجمهور، فإمام الزمان هو الحجّة الثاني عشر، وهو الإمام المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وأبوه الإمام الحسن العسكري الحجّة الحادي عشر عليه السلام يقول: "نحن حجج الله وأُمّنا فاطمة حجّة الله علينا"، فإن فاطمة حجّة الحجج.

ولذلك قال الإمام الحجّة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه): إنّي أقتدي بأُمّي فاطمة؛ لما لها من الفضل والعظمة التي يقرّ بها جميع الأنبياء، بل هي ليلة القدر، كما ورد ذلك في حديث مسند في بحار الأنوار، ومذكور كذلك في تفسير البرهان وتفسير نور الثقلين، ففاطمة الزهراء (ع) أنّما سمّيت بذلك لأنّ الناس فطموا عن معرفتها، فكيف لا تكون كذلك وهي أمّ أبيها، أي مقصودة أبيها فكان يشمّ نحرها ويقبّل يدها ويقول الرسول الأعظم بعظمته وعلمه: فداها أبوها، فإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على أنّها سرّ الوجود، ولا يستقيم أمر لأحد سواء كان عالماً أو شاعراً أو خطيباً أو أديباً إلاّ أن يقرّ بفضلها ومحبّتها، وأن يعرفها بما أمكنه معرفتها، وهي التي فطم الناس عن حقيقة معرفتها؛ لأنّها كفوٌ لعليّ عليه السلام، ولا يعرف علي عليه السلام إلاّ الله ورسوله... وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الناس فطموا عن معرفتها، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى.

مظلومية الزهراء (عليها السلام) في نهج البلاغة

تواترت الروايات في ذكر منزلة الزهراء (عليها السلام)؛ ذلك في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّما فاطمة بَضْعَة مِنّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي)، وهذا الحديث صريح في أن مَن أغضبها فقد أغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومَن أغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد أغضب الله سبحانه، وهذا مصيره جهنم وبئس المصير.

والروايات تشير إلى أنها (عليها السلام) غضبت على أبي بكر وأصحابه الذين اغتصبوا حقها واعتدوا عليها. وهي أول مَن ظلم من أهل بيت النبوة بعد رسول الله (صلوات الله عليهم) فقد اغتصبوا حقها وسلبوا إرثها واعتدوا عليها، فبئس ما خلفوا به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). الذي أوصى بها وبين منزلتها منه، إلا أنّ الظالمين لم يألوا فيها ذماً ولا وصية.

وترجم أمير المؤمنين (عليه السلام) مظلوميتها في كلام له عند دفنها (سلام الله عليها). إذ زار قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: (السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ!)، يشير هذا النص إلى أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يسمع نداءه (عليه السلام) وفيه يصف أمير المؤمنين (عليه السلام) الحال التي كانت عليها الزهراء (صلوات الله عليها)، فهي أقرب مَن نزل إلى جواره من أهل بيته (عليهم السلام)، وأول من لحق به كما وعدها.

ويظهر حزنه (عليه السلام) في قوله: (قَلَّ يَا رَسُولَ اللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلاَّ أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ (إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) وهنا يبين الإمام (عليه السلام) عظم مصيبته المتمثلة بفقد رسول الله وابنته (صلوات الله عليهم)، ولكن عند النظر إلى قوله: (قَلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري) يظهر أن حزنه لفقدها ولما حل بها قبل استشهادها، ثم يسترجع فهو مؤمن بقضاء الله وقدره مسلّم له أموره، وكيف لا وهو خير من خلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأما قوله: (فَلَقَدْ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ! أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إلى أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ)، فهي وديعة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند أمير المؤمنين (عليه السلام) وعند أمته التي حابتها في حقها، وسيظهر أمر هذه الوديعة وما جرى عليها يوم الورود.

وفي قوله: (وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، هَذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ)، فيبين الإمام (عليه السلام) هنا ما قامت به العصابة التي أغضبت الزهراء (صلوات الله عليها) واغتصبت حقها وسلبت إرثها، ويقول لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إنها سوف تشكو إليك ما حل بها من أمتك بعدك، فاسألها عن كل ما جرى عليها واستخبر منها الحال التي صار عليها هؤلاء القوم، مع علمك بما فعلوه بها، ويدل قوله هذا على أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيكون خصمهم يوم القيامة، لما خلفوا به ذريته، وأما قوله: "هذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ" فيبين سرعة انقلابهم ونكثهم لما أوصاهم به بعده وهذا مصداق لقوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ).

وقوله: (وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ، لاَ قَالٍ وَلاَ سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ)، يبدأ الوداع في هذا المقطع فختمه أمير المؤمنين (عليه السلام) بما بدأ به كلامه وهو السلام، ثم يذكر أن هذا الوداع لا عن بغض أو سئم أو ملل أو سوء ظن بوعد الله، وحاشا لأمير المؤمنين (عليه السلام) أن يكون كذلك.

ومما سبق يتبين حجم مصاب أمير المؤمنين (عليه السلام) بفقدهما (صلوات الله عليهما) وعند تأمل النص نرى أنه يسير في بكائية واضحة، فكأن أمير المؤمنين (عليه السلام) يتكلم ويبكي في هذا النص لما حل به من مصيبة. ويؤكد هذا ما روي عنه (عليه السلام) عندما سأله عمار بن ياسر (رضوان الله عليه): "يا سيّدي ما بالكم تأمرونا بالصبر على المصيبة ونراكم تجزعون؟!".

فقال (عليه السلام): يا عمّار إن العزاء عن مثل مَن فقدته لعزيز يا عمّار، لَمّا فقدتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت فاطمة الزهراء هي الخَلَف منه والعوض عنه، وكانت صلواتُ الله عليها إذا نطقت مَلأت سمعي بكلامه، وإن مَشت حَكَتْ كريم قوامه، فوَ الله يا عمّار ما أحسَسْتُ بوجع المصيبة إلا بوفاتها، وما أحسستُ بألم الفراق إلا بفراقها.

قال عمّار: فأبكاني كلامه وبكاؤه فبكيتُ رحمةً له، فقلت: يا أمير المؤمنين، أعلم أن الناس صنفان: مقرر ومفتقرٌ إليك، وقول الناصح ثقيل، وهكذا يعبر الإمام (عليه السلام) عن مصيبة الزهراء التي حلت بها ومصيبته بفقدها في هذا الكلام الذي جمع كل ما جرى عليهما بعبارات واضحة ومختصرة؛ لأن صاحب المصاب لا يطنب في الكلام وإنما يوجز، فقد أوجز الإمام (عليه السلام) ما حدث في هذا.

معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين (١٢٧٨)

فضل السيدة الزهراء وجلال قدرها

العلامة الشيخ عباس القمي رحمه الله

كانت فاطمة (صلوات الله عليها) من أهل العباء والمباهلة والمهاجرة في أصعب وقت، وكانت فيمن نزلت فيهم آية التطهير، وافتخر جبرئيل بكونه منهم، وشهد الله لهم بالصدق، ولنا أُمومة الأئمّة عليهم السلام وعقب الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى يوم القيامة، وهي سيّدة نساء العالمين، من الأوّلين والآخرين.

وكانت أشبه الناس كلاماً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وآله، تحكي شيمتها شيمته، وما تخرم مشيتها مشيته، وكانت إذا دخلت عليه، رحّب بها وقبّل يديها وأجلسها في مجلسه، فإذا دخل عليها قامت إليه فرحّبت به وقبّلت يديه.

وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يكثر تقبيلها، وكلّما اشتاق إلى رائحة الجنّة يشمّ رائحتها وكان يقول: (فاطمة بضعة منّي مَن سرّها فقد سرّني، ومَن ساءها فقد ساءني، فاطمة أعزّ الناس إليّ)! إلى غير ذلك ممّا يكشف عن كثرة محبّته (صلى الله عليه وآله) لها، كنائه إيّاها بـ (يا حبيبة أبيها).

كما روى الطبري الإمامي عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام، عن فاطمة (عليها السلام) قالت: قال رسول الله: يا حبيبة أبيها كلّ مسكر حرام وكلّ مسكر خمر. وليعلم أنّه قد حقق في محله أن محبّة المقرّبين لأولادهم وأقربائهم وأحبائهم ليست من جهة الدّواعي النفسانية والشهوات البشرية، بل تجردوا عن جميع ذلك، وأخلصوا حبهم وإرادتهم لله، فهم ما يحبون سوى الله تعالى، وحبّهم لغيره تعالى أنّما يرجع إلى حبّهم له؛ ولذا لم يحب يعقوب عليه السلام من سائر أولاده مثل ما أحب يوسف عليه السلام، وهم لجهلهم بسبب حبّه نسبوه إلى الضلال وقالوا: نحن عصبة ونحن أحق بأن نكون محبوبين له؛ لأنّا أقوياء على تمشية ما يريده من أمور الدنيا، ففرط حبه ليوسف أنّما كان لحبّ الله تعالى له واصطفائه إياه، ومحبوب المحبوب محبوب.

روى الشيخ الكليني عطر الله مرقده عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: (يا محمّد، إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّدا بوحدانيته، ثم خلق محمّدا وعليّا وفاطمة (صلوات الله عليهم) فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوّض أمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاؤون [ويحرّمون ما يشاؤون] ولن يشاؤوا إلاّ أن يشاء الله تبارك وتعالى، ثم قال: يا محمد، هذه الدّيانة مَن تقدّمها مرق، ومَن تخلّف عنها محق، ومَن لزمها لحق، خذها إليك يا محمّد).

أقول: فظهر من هذا الحديث الشريف أنّ فاطمة (صلوات الله عليها) ممّن فوض الله تعالى أمور جميع الأشياء إليهم، فهي تحل ما تشاء وتحرّم ما تشاء.

وورد في الروايات الكثيرة عن الأئمّة عليهمالسلام (أنّ عندهم مصحف فاطمة (صلوات الله عليها)).

ففي الصافي عن بصائر الدرجات، قال: وخلّفت فاطمة مصحفاً ما هو قرآن، ولكنّه كلام من كلام الله أنزله عليها، إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط أمير المؤمنين عليه السلام.

وعن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليهالسلام فقلت: جُعلت فداك، إنّي أريد أن أسألك عن مسألة: ها هنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه، ثم قال: يا أبا محمد، سل عمّا بدا لك، قال: قلت جُعلت فداك، إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّم عليّاً عليه السلام باباً يفتح له ألف باب!

قال: فقال: (يا أبا محمد، علّم والله رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّاً عليه السلام ألف باب، يفتح له من كل باب ألف باب) قال: فقلت له هذا والله العلم! قال: فنكث ساعة في الأرض، ثم قال: إنّه لعلم وما هو بذلك، قال: ثم يا أبا محمد، وإنّ عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة، قال: قلت: جُعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإملائه من فلق فيه، وخط علي عليه السلام بيمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرش في الخدش، وضرب بيده إليّ وقال: تأذن لي يا أبا محمد؟ قال: قلت جُعلت فداك، إنّما أنا لك، فاصنع ما شئت، قال فغمزني بيده إليّ، وقال: حتى أرش هذا، كأنّه مغضب، قال: قلت: جُعلت فداك هذا والله العلم! قال: إنّه لعلم وليس بذلك.

ثم قال: وإنّ عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر، قال: قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من أدم أحمر، فيه علم النبيّين والوصيّين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال: قلت: إنّ هذا هو العلم، قال: إنّه لعلم وليس هو بذلك.

ثم سكت ساعة، ثم قال: (وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدريهم ما مصحف فاطمة (عليها السلام))

قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، [إنّما شيء أملاه الله وأوحى إليها] قال: قلت: هذا والله العلم! قال: إنّه لعلم وما هو بذلك.

ثم سكت ساعة، ثم قال: (إنّ عندنا لعلم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة) قال: قلت: جُعلت فداك، هذا والله هو العلم! قال: إنّه لعلم وليس بذلك. قال: قلت: جُعلت فداك، فأيّ شيء هو العلم؟ قال: (ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة).

وفي جملة من الروايات أنّها (سلام الله عليها) إحدى الركبان الأربعة يوم القيامة، تركب ناقة رسول الله (صلى الله عليه وآله) العضباء.

روى ابن شهرآشوب أنّه لما حضر النبي (صلى الله عليه وآله) الوفاة، قالت النّاقة: لمَن توصي بي بعدك؟ قال: يا عضباء، بارك الله فيك، أنت لابنتي فاطمة (صلوات الله عليها)، تركبك في الدنيا والآخرة. فلمّا قُبض النبي (صلى الله عليه وآله) أتت إلى فاطمة (عليها السلام) ليلاً فقالت: السلام عليك يا بنت رسول الله، قد حان فراقي الدنيا، والله ما تهنّأت بعلف ولا شراب بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وماتت بعد النبي (صلى الله عليه وآله) بثلاثة أيام.

وعن تفسير فرات بن إبراهيم، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم على فاطمة (عليها السلام) وهي حزينة، فقال لها: وساق الحديث في أحوال القيامة، إلى أن قال: فإذا بلغت باب الجنّة تلقّتك اثنا عشر ألف حوراء لم يتلقّين أحداً قبلك ولا يتلقّين أحداً بعدك بأيديهم حراب من نور، على نجانب من نور حبائلها من الذهب الأصفر والياقوت الأحمر، أزمّتها من لؤلؤ رطب، على كل نجيب أبرقة من سندس منضود، فإذا دخلت الجنّة تباشر بها أهلها، ووضع لشيعتك موائد من جوهر على عمد من نور، فيأكلون منها والناس في الحساب وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، وإذا استقرّ أولياء الله في الجنّة زارك آدم، ومن دونه من النبيّين. الخبر.

ورُوي عنها (سلام الله عليها) قالت: لما نزلت (لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً)، هِبْتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن أقول له يا أبه، فكنت أقول يا رسول الله، فأعرض عنّي مرّة أو ثنتين أو ثلاثاً ثم أقبل عَليّ، فقال: يا فاطمة، إنّها لم تنزل فيك، ولا في أهلك، ولا نسلك، وأنت منّي وأنا منك، إنّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش، أصحاب البذخ والكبر، قولي: يا أبه، فإنّها أحيا للقلب، وأرضى للرب.

وعن مصباح الأنوار، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن فاطمة (سلام الله عليها) قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: (مَن صلّى عليك غفر الله تعالى له، وألحقه بي حيث كنت من الجنّة).

الكليني، عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) يريد فاطمة عليها السلام، وأنا معه، فلمّا انتهينا إلى الباب وضع يده عليه فدفعه، ثم قال: (السلام عليكم) فقالت فاطمة عليها السلام: عليك السلام يا رسول الله قال: أدخل؟ قالت: ادخل يا رسول الله، قال: أدخل أنا ومَن معي؟ فقالت: يا رسول الله ليس عليّ قناع، فقال: يا فاطمة خذي فضل ملحفتك فقنّعي به رأسك، ففعلت، ثم قال: السلام عليكم، فقالت: وعليك السلام يا رسول الله قال: أدخل؟ قالت: نعم يا رسول الله، قال: أنا ومَن معي؟ قالت: أنت ومَن معك، قال جابر: فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودخلت أنا، وإذا وجه فاطمة (عليها السلام) أصفر، كأنّه بطن جرادة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما لي أرى وجهك أصفر؟ قالت: يا رسول الله، الجوع، فقال: (اللّهمّ مشبع الجوعة، ودافع الضيعة، أشبع فاطمة بنت محمد الخ).

وعن أبي سعيد الخدري، قال: أصبح علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ساغباً، فقال: يا فاطمة، هل عندك شيء تغذينيه؟ قالت: لا والذي أكرم أبي بالنبوّة وأكرمك بالوصيّة، ما أصبح الغداة عندي شيء، وما كان شيء أطعمناه مذ يومين إلا شيء كنت أؤثرك به على نفسي، وعلى ابنيّ هذين الحسن والحسين، فقال علي عليه السلام: يا فاطمة ألا كنت أعلمتني، فأبغيكم شيئاً، فقالت: يا أبا الحسن، إنّي لأستحيي من إلهي أن أكلف نفسك ما لا تقدر عليه.

وعن قرب الإسناد، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: تقاضى علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخدمة، فقضى (صلى الله عليه وآله) على فاطمة (عليها السلام) بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي عليه السلام بما خلفه، قال: فقالت فاطمة (صلوات الله عليها): فلا يعلم ما داخلني من السرور إلاّ الله بإكفائي رسول الله صلى‌الله عليه وآله وسلم تحمّل رقاب الرجال.

عن الخرائج روي أنّ سلمان (رضي الله عنه)، قال: كانت فاطمة (عليها السلام) جالسة قدّامها رحى، تطحن بها الشعير وعلى عمود الرّحى دم سائل، والحسين عليه السلام في ناحية الدّار، يتضوّر من الجوع، فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفّك وهذه فضّة، فقالت عليها السلام: أوصاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تكون الخدمة لها يوماً، فكان أمس يوم خدمتها، قال سلمان: قلت: إنّي مولى عتاقة، إمّا أنا أطحن الشعير، أو أسكت الحسين عليه السلام لك؟ فقالت: أنا بتسكينه أرفق، وأنت تطحن الشعير، فطحنت شيئاً من الشعير، فإذا أنا بالإقامة، فمضيت وصلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا فرغت، قلت لعلي عليه السلام ما رأيت، فبكى وخرج، ثم عاد، فتبسّم، فسأله عن ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ قال: دخلت على فاطمة، وهي مستلقية لقفاها والحسين نائم على صدرها وقدّامها رحى تدور من غير يد، فتبسّم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال (يا علي، أما علمت أنّ لله ملائكة سيّارة في الأرض يخدمون محمّدا وآل محمّد إلى أن تقوم الساعة).

وروي أنّه دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على علي عليه السلام، فوجده هو وفاطمة (عليها السلام) يطحنان في الجاروس، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) أيكما أعيى؟ فقال علي عليه السلام: فاطمة يا رسول الله، فقامت وجلس النبي (صلى الله عليه وآله) موضعها مع علي عليه السلام فواساه في الطحن.

وعن بعض كتب المناقب، عن جابر بن عبد الله: أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شقّ ذلك عليه، وطاف في منازل أزواجه فلم يصب عند واحدة منهنّ شيئاً، فأتى فاطمة (عليها السلام) فقال: يا بنية هل عندك شيء آكله فإنّي جائع؟ فقالت: لا والله بأبي أنت وأمّي. فلمّا خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها ووضعته في جفنة لها، وغطت عليها وقالت: لأؤثرنّ بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) على نفسي ومَن عندي. وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة طعام، فبعثت حسناً أو حسيناً إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرجع إليها فقالت: بأبي أنت وأمّي قد أتانا الله بشيء فخبّأته، قال: هلمّي، فأتته، فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً، فلما نظرت إليه بهتت، فعرفت أنّها كرامة من الله عزّ وجلّ، فحمدت الله، وصلّت على نبيّه فقال صلى الله عليه وآله: من أين لك هذا يا بنيّة؟ فقالت: هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب. فحمد الله عزّ وجلّ وقال: الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيّدة نساء العالمين في نساء بني إسرائيل في وقتهم، فإنّها كانت إذا رزقها الله تعالى فسئلت عنه قالت: هو من عند الله إنّ الله يرزق مَن يشاء بغير حساب.

فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى علي عليه السلام، ثم أكل رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وجميع أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته جميعاً وشبعوا، وبقيت الجفنة كما هي، قالت فاطمة عليها السلام: فأوسعت منها على جميع جيراني، وجعل الله فيها البركة والخير كما فعل الله بمريم.

مودعة في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٢٦) عام ٢٠١٢ م .

فاطمة الزهراء تضع النقاط على الحروف

السيد محمد كاظم القزويني

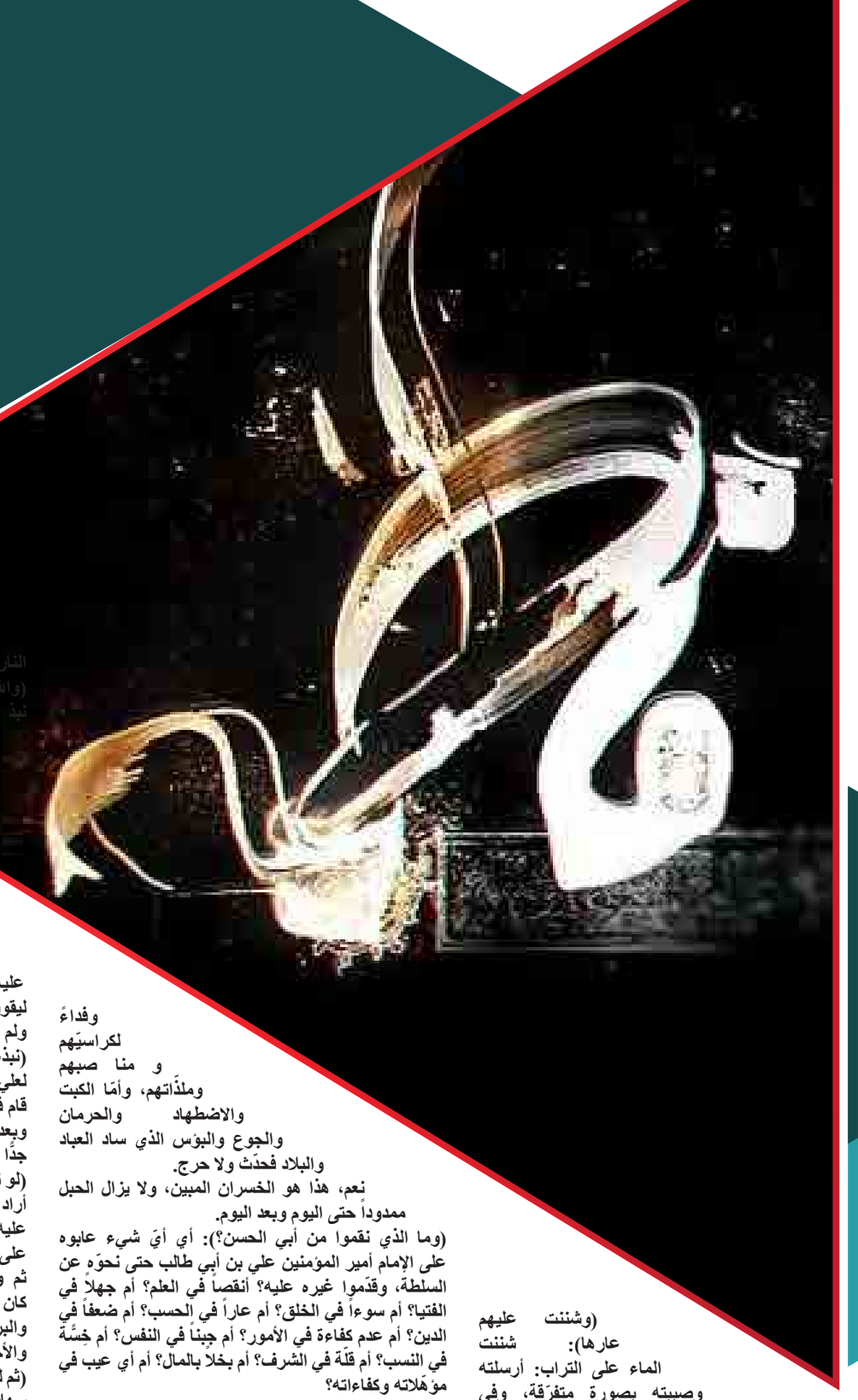

(أصبحتُ
- والله - عائفة
لدنياكن) نعم، إنّها
تبدي تنفّرها عن الحياة
الدنيا، وكراهتها لذلك المجتمع
الذي لا يؤمن بالقيم.
(قالية لرجالكن) ويحقّ لها أن تبدي
اشمئزازها وغضبها على رجال المدينة، الذين
كان موقفهم تجاه السيدة فاطمة الزهراء موقفاً غير
طيّب، فلقد مرَّ عليك أنّهم أبدوا انزعاجهم من بكاء السيدة
فاطمة الزهراء على فقد أبيها الرسول (صلى الله عليه وآله)
ولم يتجاوبوا معها في إسعافها والوقوف معها.
(لفظتهم بعد أن عجمتهم) أي رميتهم من فمي بعد أن
عضضتهم، كما يرمي أحدنا اللقمة من فمه ويشمئز منها.
(وشننتهم بعد أن سبرتهم) أي أبغضتهم وملتهم بعد أن
اختبرتهم، وكرهتهم بقلبي بسبب سوء تصرّفاتهم.
(فقبحاً لفلول الحد) شبّهت السيدة فاطمة الزهراء
عليهاالسلام رجال أهل المدينة بالسيف الذي انثلم حدّه فلا
يقطع، إشارة إلى قعودهم عن نصرتها، وخذلانهم إيّاها،
فكأنّها عليهاالسلام تستقبح فيهم سكوتهم عمّا جرى على
بنت نبيّهم من الظلم والاضطهاد.
(واللعب بعد الجد) والمقصود: عدم المبالاة بالحق بعد
اهتمامهم بذلك، فإنّهم كانوا جادّين في نصرة الإسلام، ولكن
الآن صاروا كأنّهم يلعبون ألعاباً سياسية.
(وقرع الصفاة) والمراد: التذلل والانقياد لكل مَن قادهم.
(وصدع القناة) وفي نسخة: (خور القناة) إشارة إلى
استرخاء الرمح بسبب انشقاقه، وينبغي أن يكون الرمح
صلباً حتى يمكن الطعن به، وإذا كان الرمح رخواً لا يمكن
أن يُطعن به.
(وخطل الآراء) وفي نسخة: (أفول الرأي) وفي نسخة
أخرى: (خطل القول) وعلى كل تقدير فهو إشارة إلى انحراف
آرائهم وفسادها، وشذوذ مواقفهم السلبية، والإيجابية.
أما مواقفهم السلبية فهي تجاه أهل بيت نبيهم عليهم
السلام وعدولهم عن أهل البيت إلى غيرهم، وأما الإيجابية
فاعترافهم بالسلطة المناوئة لآل الرسول.
(وزلل الأهواء): ما أقبح تلك الرغبات المنحرفة التي لعبت
بمقدرات المسلمين على مرّ التاريخ وعلى مرّ القرون، وتلك
العثرات المنبعثة عن اتباع الأهواء الضالة المضلة، ومن
مشتهيات النفوس.
(لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ وَفِي
الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ) هذه الآية من سورة المائدة آية (٨٠)
وقبلها: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ
يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيراً
مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن
سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ).
إنّها (عليها السلام) أدمجت هذه الآية في حديثها للمناسبة
بين الموردين، ويظهر وجه المناسبة بالمقارنة بين الآيات
وبين موقف أولئك المتخاذلين.
(لا جرم لقد قلّدتهم ربقتها): إنّها (عليها السلام) تلقي
المسؤولية (مسؤولية الأجيال كلّها) على أعناق أولئك
الأفراد، إذ إنّها لما حضرت في المسجد وخطبت، وأتمّت
الحجّة على الحاضرين واستنجدت بالمهاجرين والأنصار
فثبت التكليف الشرعي في حقّهم، وحيث إنّهم لم ينصروها
فهم مسؤولون عن مضاعفات ذلك الخذلان أمام الله وأمام
التاريخ.
(وحمّلتهم أوقتها): أي حمّلتهم ثقل المسؤولية وشؤمها.
(وشننت عليهم
عارها): شننت
الماء على التراب: أرسلته
وصببته بصورة متفرّقة، وفي
نسخة: (سننت) أي صببت بصورة متصلة
غير متفرّقة، وعلى كل تقدير فالمعنى أنّ عليهم
سبّة التاريخ وعاره للأبد بسبب ذلك الجفاء الذي أبدوه
تجاه أهل البيت.
(فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين) وفي نسخة أخرى:
(فجدعاً وعقراً وبُعداً): هذه كلمات دعاء عليهم بسبب ظلمهم
لآل الرسول، والظلم: وضع الشيء في غير ما وضُع له،
والظلم على درجات ومراتب، فهناك الظلم بالنملة، وهناك
الظلم بالأُمّة الإسلامية عبر التاريخ، والظلم بأولياء الله الذين
يرضى الله لرضاهم، ويغضب لغضبهم.
ويستحق الظالمون أن يُدعى عليهم بالجدع والعقر والبُعد،
فيقال: جدعهم الله جدعاً وعقرهم الله عقراً، ومعناهما: قطع
الله أيديهم وآذانهم وشفاههم وجرح الله أبدانهم.
(ويحهم): ويح: كلمة تستعمل في مقام التعجّب، وقد يكون
معناها الويل.
(أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة؟) وفي نسخة:
(زعزعوها): تتعجّب (عليها السلام) من سوء اختيارهم،
أي كيف نحّوا خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن
مواضعها الثابتة التي هي بمنزلة الجبال لحركة الأرض
وسيرها بصورة منظمة وحفظها من الاضطراب؟!
(وقواعد النبوّة): القواعد: جمع قاعدة وهي - هنا - الأساس
للبناء، فكما أنّ البناء إذا بُني على غير أساس ينهدم فكذلك
الخلافة، إذا وُضعت في غير موضعها اللائق بها تنهار
معنوياً، ويختل نظامها، وتضطرب أركانها.
(ومهبط الروح الأمين): كان جبرئيل يهبط في بيت رسول الله
(صلى الله عليه وآله) وبيوت أهل بيته، وبيت فاطمة مهبط
الروح الأمين.
(والطبين بأمر الدنيا والدين): الفطن الحاذق بأمور الدنيا
المتعلّقة بالحياة، وكذلك القضايا المتعلّقة بالدين في جميع
المجالات وشتّى الأحكام، وتقصد بذلك أهل بيت الرسول عليهم
السلام، وتخصّ زوجها الحكيم العظيم الإمام أمير المؤمنين
عليه السلام.
(ألا: ذلك هو الخسران المبين): أي والله، خسران واضح
خسرته الأُمّة الإسلامية في جميع مجالات حياتها، من
الحياة الفردية والزوجية والعائلية والاجتماعية والاقتصادية
والصحيّة والسياسية والعمرانية والدينية والدنيوية
والأخروية.
كل ذلك حين سلبت الأُمّة السلطةَ والقدرةَ من أهل بيت الرسول،
وتصرّف في القيادة الإسلامية أفراد كانوا هم والإسلام على
طرفي نقيض، إذ كان الإسلام شيئاً آخر.
فكانت إراقة الدماء البريئة أسهل وأهون عندهم من إراقة
الماء.
والتلاعب بالأحكام الإلهيّة والقوانين الإسلامية كالتلاعب
بالكرة وغيرها من الألاعيب.
إنّ المآسي التي شملت الأُمّة الإسلامية - عبر التاريخ - ممّا
تقشعرّ منها الجلود، وتضطرب منها القلوب، كل ذلك من
جرّاء القيادة غير الرشيدة التي تسلّمها أفراد من هذه الأُمّة.
فقد غطوا الكرة الأرضية بقشرة من المقابر التي ضمّت الآلاف
المؤلّفة من النفوس البريئة، التي كانت ضحايا لأهواءِ أفراد،
وفداءً
لكراسيّهم
و منا صبهم
وملذّاتهم، وأمّا الكبت
والاضطهاد والحرمان
والجوع والبؤس الذي ساد العباد
والبلاد فحدّث ولا حرج.
نعم، هذا هو الخسران المبين، ولا يزال الحبل
ممدوداً حتى اليوم وبعد اليوم.
(وما الذي نقموا من أبي الحسن؟): أي أيّ شيء عابوه
على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حتى نحوّه عن
السلطة، وقدّموا غيره عليه؟ أنقصاً في العلم؟ أم جهلاً في
الفتيا؟ أم سوءاً في الخلق؟ أم عاراً في الحسب؟ أم ضعفاً في
الدين؟ أم عدم كفاءة في الأمور؟ أم جبناً في النفس؟ أم خسّة
في النسب؟ أم قلّة في الشرف؟ أم بخلاً بالمال؟ أم أي عيب في
مؤهّلاته وكفاءاته؟
كل ذلك لم يكن، بل كان علي عليه السلام: أعلم هذه الأمّة
جمعاء، وهو باب مدينة علم الرسول، وأقضاهم في الفتوى،
وأشبه الناس خلقاً بالرسول الذي كان على خُلق عظيم، وابن
شيخ الأباطح أبي طالب، مؤمن قريش، وأعبد الناس في هذه
الأمّة، وأشجعهم نفساً، وأقواهم قلباً، وأكثرهم جهاداً.
وهو كتلة من الفضائل، وفي أوج الشرف والعظمة، وأسخاهم
كفّاً، وأبذلهم للمال.
إذن فما هو السبب في صرف الخلافة عنه إلى غيره؟
إنّ السيدة فاطمة (عليها السلام) تجيب عن هذا السؤال،
وتقول:
(نقموا منه - والله - نكير سيفه): أي عابوا شدّة سيفه،
والمقصود: أنّ عليّاً كان قد قتل في الحروب والغزوات
رجالات هؤلاء وأسلافهم، وحطّم شخصيّاتهم، فكانوا يكرهونه
بسبب سيفه الخاطف للأرواح.
(وقلة مبالاته بحتفه): أي عدم اهتمامه واكتراثه بالموت،
فالمجاهد الذي ينزل إلى جبهة القتال ينبغي أن يكون قليل
المبالاة بالموت، فكما أنّه يَقتل كذلك يُقتل، وكان علي عليه
السلام يقول: والله لا يبالي ابن أبي طالب أوقَع على الموت
أو وقع الموت عليه.
(وشدّة وطأته ونكال وقعته): يقال: فلان شديد الوطأة، أي
شديد الأخذ وشديد القبض، والمقصود قوّة العضلات ومعرفة
القتال، ونكال الوقعة، أي كان يصنع صنيعاً يحذّر غيره
ويجعله عبرة له، أي كانت ضربته وصدمته للأعداء نكالاً، أي
يورث الحذر والعبرة للآخرين.
(وتنمّره في ذات الله عزّ وجلّ): النمر شديد الغضب، إذا
غضب لنفسه لم يبالِ قلّ الناس أم كثروا، ولا يردّه شيء، ولا
يحول دون هدفه حائل، ولا يمنعه مانع، والرجل الشجاع الذي
يجاهد بلا مبالاة ولا خوف، بل بكل غضب وشجاعة يقال في
حقّه: تنمّر، أي صار شبيهاً بالنمر في الاقتحام.
لقد تلخّص من كلامها (عليها السلام) أنّ سبب انحراف الناس
عن علي عليه السلام كان لأغراض شخصية، وأمراض
نفسية متأصّلة في قلوبهم.
فلقد قتل علي عليه السلام يوم بدر وأُحد وحنين والخندق
وغيرها عدداً كبيراً لا يُستهان به من أقطاب الشرك، ورجالات
الكفر، وشخصيّات الجاهلية، أمثال: عتبة وشيبة والوليد
وعمرو بن عبد ودّ وعقبة بن الوليد وغيرهم، وأكثر قبائل
العرب كانت موتورة بسيف علي عليه السلام.
وحتى بعد أن أسلمت تلك القبائل كانت رواسب الحقد والعداء
كامنة في نفوسهم.
والنجاح الكبير الذي أحرزه علي عليه السلام في جميع
المجالات من الطبيعي أن يهيّج الحسد في القلوب، والتقدّم
الباهر الذي كان من نصيب علي عليه السلام في شتّى
الميادين كان في قمّة فضائله.
فالآيات القرآنية التي نزلت في حقّه، والأحاديث النبوية التي
شملته دون غيره، والموفّقيّة التي حازها علي عليه السلام
وحده، وخصائصه التي امتاز بها عن غيره من العالمين، كان
لها أسوأ الأثر في النفوس المريضة.
وكانت تلك الرواسب والآثار كامنة في الصدور، كأنّها نار
تحت رماد، حتى توفّي رسول الله صلى‌الله عليه وآله وسلم
وخلا الجو، وارتفع المانع فعند ذلك زال الرماد، وظهرت
النار، وجعلت تلتهب وتشتعل.
(والله لو تكافّوا عن دمام
نبذ ه
ر سو ل
الله (صلى
الله عليه وآله) إليه
لاعتلقه): شبّهت السيدة
فاطمة (عليها السلام) المجتمع
الإسلامي أو الأمّة الإسلامية بالقافلة،
وشبّهت الخلافة والقيادة الإسلامية بالزمام وهو
المقود، أي الحبل الذي يقاد به البعير، وشبّهت عليّاً
عليه السلام بالدليل الذي يتقدّم القافلة، ويأخذ بزمام البعير
ليقود المسيرة.
ولم تنسَ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أن تقول:
(نبذه رسول الله إليه) أي أنّ القيادة الإسلامية إنّما صارت
لعلي عليه السلام بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين
قام في الناس رافعاً صوته: (مَن كنت مولاه فعليّ مولاه).
وبعد هذا تقسم بالله قائلة: (والله) فالمسألة مهمّة وعظيمة جدّاً
جدّاً وتستحق أن يقسم الإنسان بالله لأجلها.
(لو تكافّوا): أي كفوا أيديهم، أي منع بعضهم بعضاً، بحيث لو
أراد أحدهم تناوله منعه الآخرون (لاعتلقه) أي اعتلق علي
عليه السلام الزمام، أي قام بالواجب كما ينبغي وقاد المسيرة
على أحسن ما يتصوّر، وأفضل ما يرام.
ثم وصفت (عليها السلام) نتائج تلك القيادة الرشيدة لو
كان يفسح لها المجال، وذكرت الفوائد والمنافع والخيرات
والبركات التي كانت تعمّ الأمّة الإسلامية على مرّ القرون
والأجيال فقالت:
(ثم لسارَ بهم سيراً سجحاً): أي سار القائد بالمسيرة سيراً ليّنا
سهلاً، بكل هدوء وطمأنينة، فإنّ البعير إذا سار بالراكب سيراً
عنيفاً فلا بُدَّ أنّ الراكب يتأذّى من الحركة العنيفة، وتتحطم
أعصابه لما في ذلك من الإزعاج والقلق.
ثم البعير نفسه يتألّم حينما يجاذبه الراكب الحبل الذي قد
دخل في ثقب أنفه، وربّما يجرح أنفه أيضاً، فيتأذّى الراكب
والمركوب، ولكنّ السيدة فاطمة تقول: (لا يكلم خشاشه، ولا
يتعتع راكبه) وفي نسخة: (ولا يكل سائره ولا يملّ راكبه)
أي الحبل أو الخشب الذي جعل في أنف البعير ويقال له:
(الخشاش) لا يجرح أنف البعير، ولا ينزعج راكب البعير،
والمقصود سلامة الراكب عن كل مشقّة حال السير.
(ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً) وفي نسخة: (منهلاً رويّاً):
إنّ الدليل الذي يتقدّم القافلة لا بُدَّ أن ينزل بهم منزلاً حسناً،
ومكاناً لائقاً للراحة، على شاطئ نهر أو عين ماء، ليأخذوا
حاجتهم من الماء، ويسقوا دوابهم وغير ذلك.
تقول السيدة فاطمة عليها السلام: كان علي عليه السلام
يقود المسيرة إلى منهل نمير، والمنهل: المورد أي محل
ورود الإبل، والنمير: العذب، النابع من عين لا ينقطع ماؤها،
والفضفاض: الواسع.
(تطفح ضفّتاه، ولا يترنّق جانباه): النهر إذا كان ممتلئاً يفيض
جانباه، وإذا كان عذباً لا يتكدّر جانباه بالطين، كما هو المشاهد
من تكدّر الماء بالطين على جوانب النهر، بل وحتى البحر.
فالكثرة والسعة في المجرى والعذوبة والنظافة وعدم التلوّث
بالطين وغيره من صفات ذلك الماء.
وكلّها إشارات وكنايات إلى الحياة السعيدة التي كان الناس
يعيشونها لو كان الأمر بيد الإمام أمير المؤمنين، فالخيرات
كانت تشمل أهل الأرض، والعدل يسود المجتمع، والسلامة
كانت تعمّ الجميع، والرفاهية والاستقرار والطمأنينة والأمان
والحرية - بمعناها المعقول - والسعادة في الدنيا، والنعيم في
الآخرة كان من نصيب الجميع.
(ولأصدرهم بطاناً): وكانت نتيجة ذلك الورود هو الصدور من
المنهل، والخروج من ذلك المورد بالشبع والارتواء، فلا جوع
ولا حرمان، ولا فقر ولا مسكنة.
(ونصح لهم سرًّا وإعلاناً) النصح: حُب الخير، وعدم الغش،
والمعنى أنّ علياً كان يسعى في إسعادهم وجلب الخير لهم
بصورة سرّية وعلنيّة، أي ما كان يطلب من وراء تلك القيادة
إلاّ الخير للناس لا لنفسه.
(ولم يكن يحلّى من الغنى بطائل، ولا يحظى من الدنيا بنائل،
غير ريّ الناهل وشبعة الكافل): وهنا تذكر السيدة فاطمة
الزهراء (عليها السلام) موقف زوجها من تلك القيادة
والزعامة العامّة.
وقبل كل شيء ينبغي أن لا ننسى أنّ في العالم أفراداً يحبّون
القيادة والرئاسة لأنفسهم، أي يحبّون أن يحكموا على الناس،
ويتصرّفوا كما يشاؤون وكما يريدون، ويحبّون الرئاسة؛
لأنّها وسيلة تحقيق أهدافهم وأمنياتهم الشخصية، فهم
يتنعّمون من وراء تلك الرئاسة بشتّى أنواع النعم، ويختارون
لأنفسهم أفضل حياة.
وهناك أفراد - وقليل ما هم - يحبّون الرئاسة والقيادة ليخدموا
الناس، ويصلحوا المجتمع، ويجلبوا الخير والسعادة للشعوب،
ليعيش الناس آمنين مطمئنين، ولتكون لهم حياة مشفوعة
بالراحة والخير والنعيم.

معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين (

إنّ هذه الطائفة من أولياء الله لا يشعرون بالنقص في أنفسهم كي يكمّلوا أو يستروا ذلك النقص بالفخفخة والجبروت، بل إنّهم يشعرون بالكمال في أنفسهم، فهم في غنى عن الناس، والناس بحاجة إليهم، إن هؤلاء لو حكموا لنفعوا الناس وأصلحوهم، وأمّنوا حياتهم من جميع نواحيها. وفي الوقت نفسه لا يستفيدون ولا ينتفعون من حطام الدنيا، ولا تطيب نفوسهم أن يتنعّموا بأموال الفقراء، ويبنوا قصورهم على عظام الضعفاء، إنّهم يحملون نفوساً أبيّة وأنوفاً حميّة، وأرواحاً طيّبة تستنكف التنازل إلى هذا المستوى السافل.

بعد هذا يتضح لنا كلام السيدة فاطمة (عليها السلام) حول موقف زوجها تجاه القيادة لو كان يفسح له المجال، ولا يغلق عليه الطريق.

تقول: (ولم لم يكن يحلّى من الغنى بطائل): أي لو كان علي جالساً على منصّة الحكم ما كان يستفيد من أموال الناس لنفسه فائدة كثيرة، وما كان يصيب من بيوت الأموال لنفسه فائدة كثيرة، وما كان يصيب من أموال الناس وكنوز الثروة خيراً.

(ولا يحظى من الدنيا بنائل): ما كان ينال من ثروات الدنيا بالعطاء سوى مقدار إرواء نفسه من العطش، وإشباع عائلته من الجوع.

احفظ هذه الجملة وانظر إلى حياة الحكّام والسلاطين في العالم، تجدهم يسكنون أفخم المساكن، ويلبسون أفخر الملابس، ويأكلون ألذ المآكل، ويركبون أحسن المراكب، ويؤثثون بيوتهم بأغلى الأثاث، ويعيشون أفضل المعيشة.

ولا تسأل عن الذخائر التي يدّخرونها ليوم ما؟!

كل ذلك من بيت المال، وكل ذلك من أموال الدولة وأموال الشعب!! نعم إنّ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هكذا تعرّف زوجها، والتاريخ الصحيح يصدّق كلامها والواقع يؤيّد ادعاءها.

(ولبان لهم الزاهد من الراغب): إنّ السيدة فاطمة عليها السلام لا تزال توالي حديثها عن زوجها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وإنّه لو كان يستلم القيادة كان يقنع من الدنيا بالشيء اليسير اليسير، وذلك بمقدار إرواء عطشه وإشباع عائلته، وعند ذلك كان يظهر للناس الزاهد الحقيقي الذي لا يطمع في أموال الناس، كما يظهر الراغب الطامع الذي كان يخضم مال الله خضم الإبل نبتة الربيع وأمثاله.

(والصادق من الكاذب): وظهر لهم الصادق الذي يصدق في أقواله وأفعاله من الكاذب الذي يكذب في ادعاءاته وتصرّفاته، وتكذّب أفعاله أقواله وشعاراته.

ثم إنّها (عليها السلام) ختمت هذه المقطوعة من حديثها بالآية الكريمة، وطبّقتها على هذه الأمّة، فقالت: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ).

ما أنسب هذه الآية بهذا المقام! وما أجمل هذا التشبيه في هذا الكلام!

وتقصد السيدة فاطمة أنّ الناس لو كانوا يقبلون كلام الرسول (صلى الله عليه وآله) في تعيين علي للخلافة وكانوا ينقادون له لكانت الدنيا لهم روحا وريحاناً وجنّة نعيماً، ولكنهم خالفوه واختاروا غيره، وبعملهم هذا كذّبوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) تكذيباً عملياً، فسوف يشاهدون الويلات تنصبّ عليهم.

وأردفت هذه الآية بمثلها، فقالت: (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاء سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ).

(ألا: هلمّ واستمع) وفي نسخة: (هلممن واستمعن): فعلى النسخة الأولى يكون الخطاب عاما للجميع، وعلى النسخة الثانية يكون الخطاب خاصاً بالنساء اللاتي حضرن عيادتها.

(وما عشت أراك الدهر عجبا): أي كلما عشتَ أو مدة عيشك في الدنيا رأيت العجائب التي لا بالبال ولا بالخاطر.

(وإن تعجب فعجب قولهم): هذه الجملة من آية في سورة الرعد وهي: (وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد) اقتبست السيدة فاطمة (عليها السلام) هذه الجملة من الآية وأدمجتها في حديثها، والمقصود أن الناس يتعجبون من بعض الأمور وليست بعجيبة، ولا تستحق التعجب، وهناك أمور وقضايا عجيبة ينبغي أن يتعجب منها؛ لأنها أمور لا تنسجم مع الشرع ولا مع العقل ولا الوجدان ولا الضمير، ولا تدخل تحت أي مقياس من المقاييس الصحيحة.

والأمر العجيب هو ما يلي:

(ليت شعري إلى أي سنادٍ استندوا؟ وعلى أيّ عماد اعتمدوا؟ وبأيّة عروة تمسّكوا؟ وعلى أيّة ذريّة أقدموا واحتنكوا؟)

إنّ الناس كانوا يستندون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وينقادون له، ويعتمدون على أقواله، ويطيعون أوامره؛ لأنّه مرسل من عند الله، ومتصل بالعالم الأعلى، قد توفّرت فيه الأهلية بجميع معنى الكلمة، فلا عجب في ذلك إذا خضع له الناس، وقدّموه على كل شيء، ولكنّ العجب كل العجب أنّ بعض الناس بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) تنازلوا إلى مستوى نازل جدًّا، فسلّموا القيادة إلى أفراد لا توجد فيهم المؤهّلات.

فالذي كان يستند ويعتمد على الرسول (صلى الله عليه وآله) يتمسّك به كيف تطيب نفسه أو يرضى ضميره أن يعترف بالقيادة الإسلامية لأفراد ليسوا في تلك المرتبة وتلك الدرجة.

تتعجّب السيدة فاطمة (عليها السلام) ويتعجّب معها عقلاء العالم وأصحاب الضمائر الحيّة والنفوس المعتدلة والقلوب السليمة من تلك الانتخابات المخالفة لجميع المقاييس والنواميس والموازين.

(وبأية عروة تمسّكوا): لقد ثبت عند المسلمين كلام رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنكم لن تضلوا ما إن تمسّكتم بهما) ومعنى الحديث أنّ الرسول أمر المسلمين أن يتمسّكوا بالقرآن والعترة معا، ولكن هؤلاء بأيّة عروة تمسّكوا وتعلّقوا واعتصموا.

(وعلى أيّة ذرّيّة أقدموا واحتنكوا؟) أيعلم هؤلاء مَن هي فاطمة الزهراء؟ أيعلم هؤلاء ما منزلة هذه الذرّية الطاهرة الشريفة الذين هم أشرف أسرة على وجه الأرض؟ أيعلم هؤلاء ما صنعوا بأهل البيت؟ الذين أمرهم الله بمودّتهم بقوله: (قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) الذين فرض الله طاعتهم على كل مسلم بقوله: (أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ)؟! الذين مَثَلهم كمثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تَخلّف عنها هوى وغوى وهلك؟! الذين مَن أحبّهم فقد أحبّ الله، ومَن آذاهم فقد آذى الله، ومَن أبغضهم فقد أبغض الله؟!

فو الله الذي لا إله إلاّ هو إنّهم آذوا ذرّيّة رسول الله وعترته وأهل بيته، وظلموهم وأغضبوهم واعتدوا عليهم، وهتكوا حرمتهم، وجرّأوا الناس على إيذائهم.

بأيّ دين؟! وبأيّة شريعة؟! وبأي مجوّز شرعي صنعوا ذلك الصنيع تجاه آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلم؟

أنا لا أدري، ولعلّ القوم ينحتون الأعذار التي تبيح لهم هتك تلك الحرمات، وإهدار تلك الكرامات.

(لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ): اقتبست السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هذه الجملة من قوله تعالى: (يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ) أي أنّ الذي اختاروه للولاية بئس المولى وبئس العشير، والعشير هو الصديق الذي ينتخب للمعاشرة.

(بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً): هذه الجملة من قوله تعالى في سورة الكهف ٥٠: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً).

(استبدلوا - والله - الذنابا بالقوادم والعجز بالكاهل):

إنّ من جملة العلوم التي لها الصدارة على بقيّة العلوم هو علم الاجتماع، وهو علم يبحث عن تقدّم الأمم و تأخّرها، وأسباب ضعفها أو قوّتها، وصلاحها وفسادها، ونتائج الصلاح ومضاعفات الفساد.

ومن الوسائل التي كان لها التأثير في توعية المجتمع نحو الخير والشر، ونحو الصلاح أو الفساد، وتقرير مصير الشعوب: هو جهاز الدولة وجهاز الدين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (طائفتان من أمّتي إذا صلحتا صلح الناس، وإذا فسدتا فسد الناس: العلماء والأمراء) وفي ذلك اليوم كان جهاز الدولة وجهاز الدين واحداً، فالخليفة يُعتبر رئيس الدولة ورئيس الدين، ويدير دفّة الحكم على الصعيدين: الدولي والديني.

وإنّنا نجد الشعوب المتحضّرة، المثقّفة المتقدّمة أنّما وصلوا إلى القمّة وحازوا التقدّم في كافّة المجالات بسبب الأسرة الحاكمة التي مهّدت لهم السبل، وهيّأت لهم الوسائل وزوّدتهم بالتعليمات، وشجّعتهم على العمل.

وهكذا نجد الشعوب المتأخّرة والمتفسّخة التي استولى عليهم الجهل والفقر والمرض والذل والهوان والخلاعة والمجون هم ضحايا إهمال الحكّام وأصحاب القيادة، وقد قيل: (الناس على دين ملوكهم).

وهنا تنتقل السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى حديثها عن علم الاجتماع، فتقول:

(استبدلوا - والله - الذنابي بالقوادم): إنّ التشبيه في الكلام له تأثير عجيب في النفس، وتقريب المعنى إلى الذهن بصورة واضحة. لقد شبّهت السيدة فاطمة (عليها السلام) الأمّة الإسلامية بالطائر، وشبهت القائد أو القيادة بأجنحة الطائر؛ لأنّ الطائر لا يستطيع أن يطير إلاّ بجناحيه، والجناح مركّب من عشر ريشات كبار، ويُقال لها (القوادم) وتحت تلك الريشات الكبار عشر ريشات صغار يقال لها (الخوافي) وعلى موضع ذنب الطائر ريشات يقال لها: (الذنابى).

فالقوادم هي قوام الطيران، ولا يمكن الطيران بغير القوادم؛ لأنّها بمنزلة المحرّكات القويّة في جناح الطائرة التي بإمكانها أن تقلع الطائرة وترتفع بها عن الأرض وتسير في الفضاء.

فالطائر إذا قطعت قوادمه لا يستطيع الطيران بالخوافي وهي الريشات الصغار، ولا بالذنابي؛ لأنّ الذنابي لا تستطيع حمل جسد الطائر وإقلاعه عن الأرض لعجز الذنابي وضعفها.

(والعجز بالكاهل): العجز - بفتح العين وضم الجيم -: من كل شيء مؤخّره، ومن الإنسان ما بين الوركين، والكاهل ما بين الكتفين، والكاهل أقوى موضع في البدن لحمل الأثقال، وبالعكس: العجز لا يليق ولا يستطيع حمل الأثقال. والمقصود من هذين المثالين أو التشبيهين هو: أنّ القوم سلّموا الأمور العظيمة، والمناصب الخطيرة وهي القيادة إلى مَن لا يليق بها، ولا يستطيع القيام بأمورها؛ لعدم توفّر الإمكانيات فيه، وعجزه عمّا يتطلبه الأمر من العلم والعقل والتدبير، وذلك بعد أن سلبوا تلك الإمكانيات من أصحابها الأكفاء ذوي اللياقة والخبرة والبصيرة.

إنّهم بايعوا عليًّا عليه السلام يوم الغدير بأمر من الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) وباختيار منهما، ولكنّهم نكثوا عهدهم، ونقضوا ببيعتهم، وبايعوا غيره الذي لا يُقاس بعليّ عليه السلام علماً وشرفاً وفضلاً وسابقة وغير ذلك من المرجّحات.

(فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً): إنّ الزهراء (عليها السلام) تدعو على هؤلاء بالذلّ والهوان، وهو إرغام أنوفهم، وهم الذين يظنّون أنّهم مهتدون في أعمالهم، ومصلحون في تصرّفاتهم، والحال (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ) وهل يشعر المنحرف أنّه منحرف وشاذّ؟ بل بالعكس، يتصوّر أنّه هو المهتدي المعتدل المستقيم، وأنّه على الحق وأنّ غيره على الباطل، ولا يؤثّر فيه المنطق ولا ينفع فيه الدليل والبرهان.

وهاتان الجملتان مقتبستان من قوله تعالى: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا). وقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ).ثم أدمجت آية أخرى في كلامها بالمناسبة فقالت: ويحهم! (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ).

هذه الآية الشريفة تشير إلى بحث الهداية، والمقارنة بين الذي يهدي إلى الحق، ويرشد الناس إلى الطريق وبين الذي لا يهتدي ولا يعرف الطريق إلاّ أن يُهدى، أي يهديه غيره، أيهما أحق بالاتباع؟ وأيّهما يستحق أن يكون قائداً للأمّة؟

وهنا تقصد فاطمة الزهراء (عليها السلام) من هذه المقارنة أنّ عليًّا هو الرجل الكامل علماً وفضلاً وعقلاً، ومواهب، فهو أولى بالقيادة، وأحرى بالاتباع من أفراد ليسوا في المستوى المطلوب في العلم والعقل والتدبير وما شابه ذلك من لوازم القيادة.

والتاريخ يثبت كلا الجانبين: جانب الكمال في عليّ، وجانب النقص في غيره.

(أما لعمري! لقد لقحتْ): إنّ الميكروبات التي تتكوّن في البدن، وتنتج أمراضاً صعبة العلاج أنّما تبدأ من الجرثومة التي تدخل في الدم، وهناك تتلاقح، وبمرور الزمان تنتشر الميكروبات في الدم، وتؤثّر على الكريّات البيض والحمر، وهناك الويلات، وهناك الملاريا والكوليرا، وهناك السرطان، وهناك المرض الذي يعمّ البدن ويشمل الجسد كلّه.

تقول السيدة فاطمة الزهراء: (أما لعمري! لقد لقحت) لقحت جرثومة الفتنة في الأمّة الإسلامية، والفتنة في طريقها إلى التوسّع والانتشار.

(فنظرة ريثما تنتج): أي انتظروا حتى تنتشر الميكروبات في هيكل المجتمع الإسلامي، فبعد أن كانت القيادة الصالحة اللائقة تقود المسلمين، وإذا بقيادة معاكسة ومغايرة لها تماماً تزاحمها وتحل محلّها. وبعد أن كانت الأحكام الإسلامية الطرية المعتدلة تسود المجتمع الإسلامي، وإذا بأحكام منبعثة عن الهوى وعن آراء شخصيّة متطرّفة تقوم مقام تلك الأحكام.

وهكذا تتبدّل المفاهيم، وتتغيّر المقاييس.

(ثمّ احتلبوا ملأ القعب دماً عبيطاً): إنّ الناقة إذا ولدت يُحلب منها اللبن، ولكنّ الفتنة إذا لقحت وأنتجت يحلب منها الدم لا اللبن، أي تتكوّن المجازر والمذابح، فبعد أن كان الدين الإسلامي دين الأمن والحياة والسلام في الواقع، وإذا به ينقلب مفهومه لدى هؤلاء فيصبح دين الإبادة والهلاك، والدمار والفناء.

انظر إلى التاريخ الإسلامي الذي شوّهه هؤلاء، تجد أنهاراً من الدماء التي جرت من أجساد المسلمين، وتجد التلال التي تكوّنت من جثثهم. فمثلاً: ذكر المؤرّخون أنّ عثمان بن عفان قام بأعمال منافية للقرآن والسنّة، فعاتبه المسلمون على ذلك، ولكنه لم يرتدع، بل استعمل العنف والقوّة معهم ضرباً وسبًّا وتبعيداً وتهديداً.

وأخيراً أثارت أعماله في المسلمين هياجاً عامًّا، وكانت عائشة تهيّج الناس ضدّه وتقول: اقتلوا نعثلاً فقد كفر، اقتلوا نعثلاً قتله الله. ونعثل اسم يهودي كانت عائشة تشبّه عثمان به. وهكذا طلحة وابن العاص. وأخيراً قتلوا عثمان.

وإذا بالذين كانوا يحرّضون الناس ضدّه خرجوا يطلبون بدمه، وقد قتل عثمان في المدينة، وذهب هؤلاء إلى البصرة يطلبون بدمه، وبين المدينة والبصرة أكثر من ألف كيلو متر، فأجّجوا نيران الحرب هناك، فقتل في حرب البصرة خمسة وعشرون ألف إنسان!.

ثم نهض معاوية زاعماً أنّه يطلب بدم عثمان، فقامت الحرب بالقرب من مدينة حلب في منطقة يقال لها: (صفّين) وهدأ القتال وعلى الأرض تسعون ألف قتيل!.

ثم حدثت واقعة النهروان فقتل فيها أربعة آلاف إنسان.

ثم خرج بسر بن أرطاة من الشام وقصد المدينة ومكّة واليمن وفي طريقه كان يقتل الناس، حتى قتل من شيعة علي في اليمن وغيره ثلاثين ألفاً!.

خذ القلم بيدك واحسب مجموع القتلى:

٣٠٠٠٠ = ٤٠٠٠ + ٩٠٠٠٠ + ٢٥٠٠٠ = ١٤٩٠٠٠

هؤلاء القتلى، ولا تسأل عن الجرحى، ولا تسأل عن أرامل هؤلاء وايتامهم، ومضاعفات تلك المآسي، ولا تسأل عن الدموع الجارية، والعيون الباكية، والقلوب الملتهبة، والآهات والأحزان التي جعلت تلك الحياة جحيماً على ذلك المجتمع بكافّة جوانبه ونواحيه، كل ذلك خلال أربع سنوات!!

وهل انتهت المأساة هنا؟ لا، بل هناك مآسٍ ومجازر ومذابح تقشعرّ منها الجلود.

نعم لا تزال السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تخبر عن الفجائع والفظائع التي هي في طريق الأمّة الإسلامية، وكامنة لها بالمرصاد. ليس هذا التنبّؤ إخباراً عن الغيب، بل إخبار عن نتائج الأعمال ومضاعفاتها، فالطبيب الحاذق إذا نظر إلى إنسان لا يراعي أصول الصحّة في مأكله ومشربه وتنفسّه ويستعمل الأشياء الضارّة، فإنّ الطبيب يخبره بمصيره المظلم، والأمراض الفتّاكة التي تقضي على حياته من جرّاء تلك الأعمال المنافية لأصول الصحّة العامّة.

وكذلك السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تنظر إلى ذلك المجتمع وسوء اختيار الأمّة للقيادة غير الصالحة، فتنكشف لها العواقب السيّئة التي يؤول إليها أمر الأمّة الإسلامية ببركات تلك القيادة؟!.

تقول: (ثمّ احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً) وفي نسخة: (طلاع القعب): أي القدح الكبير الضخم الذي يتفايض بالدم حتى يسيل منه، والمقصود كثرة الدماء التي تُراق.

(وذعافاً ممقراً مبيدا): أي احتلبوا الدم، واحتلبوا السمّ المرّ المهلك، والمقصود منها النتائج السيئة التي عمَّ شؤمها الإسلام والمسلمين من الويلات والمصائب التي انصبّت على المسلمين.

(هنالك يخسر المبطلون): أي عند ذلك يظهر خسران المبطلين.

(ويعرف التالون غبَّ ما أسّسه الأوّلون): يعرف الآخرون عاقبة الأعمال التي أسّسها الأوّلون.

(ثمّ طيبوا عن دنياكم أنفساً) يُقال: طب نفساً: أي أسكن واهدأ عن القلق، وهذا كما يُقال للظالم: قرّت عينك، أو بشراك، وأمثالها من الكلمات التي يُراد بها العكس في الكلام لا الحقيقة.

(واطمأنّوا للفتنة جاشا): أي فلتسكن للفتنة قلوبكم، وهذا أيضاً يُراد به العكس، فإنّ القلب لا يسكن للفتنة، وإنّما يسكن للأمان والسلامة.

(وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتدٍ غاشم): هذه الكلمة على غرار قوله تعالى: (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) وهذه الكلمة أو الجملة أيضاً على العكس.

(وهرج شامل) وفي نسخة: (وهرج دائم شامل) الهرج: الفتنة والفوضى واختلال الأمور.

(واستبداد من الظالمين) الاستبداد: الدكتاتورية، والعمل على خلاف المقاييس والموازين، لا تحت أي نظام أو قانون أو شريعة أو دين.

(يدَع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً): أي ذلك الاستبداد أو المقصود من ذلك جميع ما تقدّم من قولها: سيف صارم وسطوة معتدٍ غاشم وهرج واستبداد، ومجموع هذه الأشياء يدع فيئكم زهيداً، أي يجعل الغنائم والخراج وحقوقكم المالية زهيداً قليلاً (وجمعكم حصيداً) وفي نسخة: (وزرعكم حصيداً) أي محصوداً، والمقصود أنّ السلطة التي تحكم عليكم يتصرّفون في غنائمكم حسب مشتهياتهم ويجرّونها إلى أنفسهم فلا ترون منها إلاّ القليل، ويحصدون جمعكم، أي جماعتكم بسيوفهم.

وكلها إخبارات بالمستقبل المظلم الذي كان بالمرصاد للمسلمين، والمآسي والكوارث التي تنزل بهم، والويلات التي تنصبّ عليهم!.

وقد تحقّق كل هذا، فقد ابتلي المسلمون بفجائع ومذابح ومآسٍ لا يستطيع أحد أن يتصوّرها، فو الله إنّهم سوّدوا تاريخ الإسلام، وشوّهوا سمعة هذا الدين، وإليك بعض تلك الحوادث شاهداً على ما نقول:

لقد ذكرنا - فيما مضى - بعض المجازر التي قام بها أصحاب الجمل ومعاوية والخوارج وبعض عملاء معاوية، والآن استمع إلى غيرها:

لو أردنا أن نذكر - هنا - ما جرى على الأمّة الإسلامية من الظلم والجور والضغط والكبت والعنف والقسوة، والاستبداد بالأموال وإراقة الدماء البريئة على أيدي حكّام الجور لطال بنا الكلام جداً جداً، فإنّ التحدّث عن هذه المصائب والفجائع يحتاج إلى موسوعة وموسوعة.

ولكنّنا رعاية للاختصار وبمناسبة التحدّث عمّا أخبرت به السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من الويلات التي كانت بالمرصاد على طريق المسلمين، الذين اختاروا تلك القيادة التي ما أنزل الله بها من سلطان، ونبذوا وراءهم ولاية آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلبوهم القدرة والإمكانية.

نختار من بين المئات من الفجائع التي انصبّت على أهل المدينة فجيعة واحدة تقشعرّ منها الجلود، وتشمئزّ منها النفوس.

وقبل أن نذكر الواقعة لا بأس بذكر مقدّمة تمهيدية كي تظهر نتائج تغيير القيادة الإسلامية عن مجراها وأُسسها.

من الصحيح أن نقول: إنّ حكّام الجور الذين جلسوا على كراسي الحكم، وقبضوا بأيديهم أزمّة الأمور، واستولوا على رقاب البشر عن طريق السيف، قد رفضوا العمل بالإسلام الذي جاء به محمّد (صلى الله عليه وآله) فكانت تصرّفاتهم لا تتفق مع القرآن الكريم، ولا السنّة النبوية، ولا منطق العقل ولا قانون الإنسانية، ولا نظام العدل، ولا تعاليم الإسلام.

بل كانوا يحكمون على أموال الناس ودمائهم حسب رغباتهم الشخصية وشهواتهم النفسية، وإجابة للحرص والجشع، وإطاعة لأهوائهم.

ويظهر لنا صدق كلامها حين المطابقة والمقارنة بين كلامها: (وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتدٍ غاشم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يَدَع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً) وبين الحوادث والمآسي التي مرّت بها الأمّة الإسلامية.

وأخيراً ختمت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) خطابها للنساء بهذه الكلمات:

(فيا حسرة لكم) هذه الكلمة مأخوذة من قوله تعالى: (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) فالمعنى: يا لكم من حسرة وندامة على ما فاتكم من الخير والهداية، والأمن والأمان، والأجر والثواب في الدنيا وفي الآخرة.

(وأنّى لكم؟) أي ما أدري إلى ما يصير أمركم وقد سلكتم عن طريق الهداية، ووقعتم في موارد الهلكة والخسران.

(وقد عميت عليكم): خفيت عليكم الحقائق بسبب قلّة تدبّركم فيها.

(أنلزمكموها وأنتم لها كارهون): هذه الجملة من قوله تعالى: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) أي أتريدون منّي أن أكرهكم على المعرفة وألجأكم إليها على كره منكم؟

هذا غير مقدور لي وإنّما الواجب عليّ أن أدلّكم بالبيّنة والطريق، وليس عليّ أن أضطرّكم إلى معرفتها.

قطعت السيدة فاطمة شريط كلامها مع النساء - هنا - وقامت النساء وخرجن.

قال سويد بن غفلة: (فأعادت النساء قولها على رجالهنّ، فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين).

من المؤسف أنّ القضية مجملة مبهمة، فليس هنا تصريح بأسماء النساء ولا بأسماء الرجال الذين هم من وجوه المهاجرين والأنصار.

وإنّما المستفاد من مجموع الأحداث أنّ النساء ما كنّ يعرفن الألعاب السياسية، وما كنّ يعرفن اتجاه رجالهن في تلك الفترة العاصفة، فحضرن عند السيدة فاطمة الزهراء لعيادتها، فخطبت فيهنّ السيدة الزهراء الخطبة التي مرّت عليك، وصبّت جام غضبها على رجالهن، وبعد انتهاء الخطبة قامت كل امرأة وكأنّها نائمة فاستيقظت، أو كانت غافلة فانتبهت، وحصل عندهنّ شيء من الوعي والانتباه.

ويعلم الله ما جرى بين تلك النساء وبين رجالهنّ من الصياح والنزاع بعد رجوعهن من عيادة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بحيث جاء رجالهن إلى دار فاطمة معتذرين. جاءوا معتذرين عن أيّ شيء؟ عن تخاذلهم عن نصرة آل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟! كأنّهم لا يعلمون شيئاً، كأنّهم لا يعرفون عن الأحداث شيئاً، كأنّهم لم يبايعوا عليًّا عليه السلام يوم الغدير، وذلك قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بسبعين يوماً، كأنّهم لم يسمعوا خطبة الزهراء في المسجد واحتجاجها مع رئيس الدولة ومع المهاجرين والأنصار! كأنّهم لم يسمعوا صرختها عند باب البيت! وكأنّهم ما كانوا بالمدينة ولم يعلموا شيئاً أبداً! وكأنّهم الآن عرفوا الحق فجاءوا معتذرين بأعذار تافهة تانهة باردة!

(وقالوا: يا سيّدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نُبرم العهد، ونُحكم العقد، لما عدلنا عنه إلى غيره) استمع إلى هذا الاعتذار البعيد عن المنطق، البعيد عن كل مقياس! ما أدري أيّ شيء كان مفروضاً على أبي الحسن أن يذكره لهؤلاء؟ أما ذكر لهم الله تعالى قوله: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)؟ أما سمعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) رافعاً صوته يوم الغدير: (مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله). إلى غيرها من الآيات نزلت في حق عليّ عليه السلام وكلمات الثناء والنصوص الصريحة التي سمعوها من فم رسول الله (صلى الله عليه وآله) الدالة على خلافة عليّ بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

أي شيء يذكره عليّ لهم؟ فهل كان هناك شيء مستور أو غير معلوم عند أولئك الشخصيات فيحتاجوا إلى مَنْ يذكر لهم ذلك؟ أو يخبرهم به؟

وبعد هذا كلّه، أما احتجّ الإمام أمير المؤمنين بأنواع الاحتجاج يوم أخذوه من بيته إلى المسجد ليبايع أبا بكر؟

أما سمعوا؟ أما علموا؟ أما فهموا؟

ثم انظر إلى كيفيّة الاعتذار وسخافة القول: (لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد ونحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره).سبحان الله! أما أبرمتم العهد؟ أما أحكمتم العقد يوم الغدير؟ وبايعتم عليًّا بالخلافة بأمر الله وأمر رسوله؟ فهل كنتم تلعبون يومذاك تستهزئون بالله ورسوله؟ فالعجب أنّه جاز لكم أن تنقضوا ذلك العهد وتنكثوا ذلك العقد، ولكن اليوم لا يجوز لكم النكث والنقض لتلك البيعة، التي كانت هي نقضاً ونكثاً للبيعة السابقة التي بايعتم عليًّا يوم الغدير!!.

نعم، هكذا اعتذروا، اعتذروا بهذه الأعذار المزيّفة، ولهذا طردتهم السيدة فاطمة من بيتها، وقالت لهم: (إليكم عنّي) تباعدوا عنّي، أمسكوا كلامكم عنّي.

(فلا عذر بعد تعذيركم) التقصير في الاعتذار، والمعذّر: المقصّر الذي يريك أنّه معذور ولا عذر له، قال تعالى: (وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ).

لعلّ المقصود ليس لكم عذر صحيح بعد تعذيركم وتقصيركم.

(ولا أمر بعد تقصيركم): أي ليس لنا أمر معكم بعد هذه المواقف التي كانت لكم.

وهكذا طردتهم السيدة فاطمة من بيتها بعد أن زيّفت أعذارهم.

مودعة في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٢٦) عام ٢٠١٢ م .

استنارات

• قال السيّد المرتضى علم الهدى في عصمة فاطمة عليها السلام: قال الشيخ (لعلّه يقصد الشيخ المفيد): قد دلّ على عصمتها قوله تعالى: (إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيتِ ويُطَهِّرَكُم تَطهيراً) [سورة الأحزاب:٣٣]، ولا خلاف بين نَقَلة الآثار أنّ فاطمة (عليها السلام) كانت من أهل هذه الآية. وقد بيّنّا فيما سَلَف أنّ ذهاب الرجس عن أهل البيت (عليهم السلام) ـ الذين عُنُوا بالخطاب ـ يُوجب عصمتهم، ولإجماع الأمّة أيضاً على قول النبيّ صلّى الله عليه وآله: "مَن آذى فاطمة فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله عزّ وجل". (الفصول المختارة:٨٨).

• وقال الطبرسي في ذِكر ما يُوجب الدلالة على عصمتها عليها السلام: مِن أوكد الدلائل على عصمتها قولُه تعالى: (إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عنكُمُ الرِّجْسَ أَهلَ البيتِ ويُطَهِّرَكُم تطهيراً). ووجه الدلالة أنّ الأمّة اتّفقت أنّ المراد بأهل البيت في الآية هم أهلُ بيت رسول الله عليهم السلام، ووردت الرواية من طريق الخاصّ والعامّ أنّها مختصّة بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) جَلّلهم بعباءةٍ خيبريّة ثمّ قال: "اللّهمَّ إنّ هؤلاء أهلُ بيتي، فأذْهِبْ عنهمُ الرجسَ وطهّرْهم تطهيراً"، فقالت أمّ سلمة: وأنا يا رسول الله مِن أهل بيتِك؟ فقال لها: "إنّك على خير"... واجتمعت الأمّة على أنّ الآية فيها تفضيل لأهل البيت عليهم السلام، وهي آيةٌ لهم عمّن سواهم. وفي ثبوت ذلك اقتضاءُ عصمةِ مَن عُنِي بالآية. (إعلام الورى بأعلام الهدى:١٤٨).

• وفي (الذكرى ص ٤) كتب الشهيد الأوّل في ظلّ آية التطهير السالفة: وفيها من المؤكّدات واللطائف ما يُعلَم مِن عِلمَي المعاني والبيان، وذهاب الرجس ووقوع التطهير يستلزم عدمَ العصيانِ والمخالفةِ لأوامر الله ونواهيه، ومورِدُها في: النبيّ (صلى الله عليه وآله) وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

• وفي منظومته في أحوال المعصومين عليهم السلام قال الشيخ الحرّ العامليّ في باب الزهراء (عليها السلام):

معصومةٌ نَأَتْ عنِ الذنوب
بريئةٌ عن جُملةِ العيوبِ
وشاركَتْ يومَ الكِساءِ والعَبا
في المجدِ بعلاً وبنينَ وأبا

• وكتب الشيخ المجلسي: لا شكّ في عصمة فاطمة عليها السلام، أمّا عندنا فللإجماع القطعيّ المتواتر، والأخبار المتواترة الآتية في أبواب مناقبها عليها السلام. (بحار الأنوار ٤٣:١٩).

وقال أيضاً: وأمّا الحُجّة على المخالفين على عصمتها فبآية التطهير. (بحار الأنوار ٣٥:٢٠٦).

وفي شرح الحديث الشريف: "إنّ فاطمة صدِّيقة شهيدة" قال الشيخ المجلسيّ في (مرآة العقول ٥:٣١٥): الصِّدّيقة فِعِّيلة، للمبالغة في الصدق والتصديق، أي كانت كثيرةَ التصديق لِما جاء به أبوها صلى الله عليه وآله، وكانت صادقةً في جميع أقوالها، مُصدِّقةً أقوالَها بأفعالها، وهذا هو معنى العصمة. ولا ريبَ في عصمتها عليها السلام؛ لدخولها في الذين نزلت فيهم آية التطهير بإجماع الخاصّة والعامّة، والروايات المتواترة مِن الجانبين.

• وكتب المامقاني في (تنقيح المقال ٣:٨١ ـ فصل النساء) في ذِكر فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله: وأمّها خديجة، ومن ضروريّات مذهبنا كونُها معصومة، وكونُ قولها حُجّة، وهي سيِّدة نساء العالمين باتّفاق الفريقين، وأخبارُهم في ذلك متواترة..

• وقال السيّد محسن الأمين في (أعيان الشيعة ٣:١٣٥) في أدلّة الإمامة: الدليل السادس ـ آية التطهير: (إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عنكمُ الرِّجْسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّرَكُم تَطهيراً) وقد دلّت الأخبار الكثيرة على أنّ المراد بأهل البيت عليٌّ وفاطمة والحسنان عليهم السلام، فتَدلّ هذه الآية الشريفة على عصمتهم؛ لأنّ الذنب رِجْس، وقد أذهَبَ اللهُ عنهمُ الرجسَ وطهّرهم تطهيراً مِن كلّ رِجس وذَنب..

• وقال النمازي الخوئي في (حدائق الإشارات في أحوال بضعة فخر الكائنات ـ مخطوط) في إثبات عصمة فاطمة (عليها السلام) من الإجماع: لا شُبهةَ في إطباق علمائنا الإماميّة على عصمتها، بل هي مِن أوضح ضروريّات مذهبنا، بل وافَقَنا عليها المخالفون من حيث لا يشعرون!

• وكتب محمّد مهران في (الإشارات الإلهيّة في المباحث الأصولية) في ذِكر عصمة أهل البيت (عليهم السلام) نقلاً عن المقريزي، نقلاً عن نجم الدين سليمان بن عبد القوي المعروف بابن عبّاس الطوفي: إنّ الشيعة قد احتجّت بقول الله تعالى: (إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البيتِ ويُطهِّرَكُم تَطهيراً) على أنّ أهل البيت معصومون، ثمّ على أنّ إجماعهم حُجّة، وأمّا إنّهم معصومون فلأنّهم طُهِّروا وأذهَبَ الله عنهم الرجس، والرجسُ اسمٌ جامعٌ لكلّ شَرٍّ ونقص وخطأ، وعدمُ العصمة بالجملة شرٌّ ونقص، فيكونُ ذلك مندرجاً تحت عموم الرجس الذاهب عنهم، فتكون الإصابة في القول والفعل والاعتقاد، والعصمة بالجملة، ثابتة لهم.

هذا، فضلاً عن أنّ الله طهّرهم وأكّد تطهيرَهم بالمصدر، حيث قال: "ويُطهِّرَكُم تَطْهيراً" أي ويُطهّركم مِن الرِّجس وغيرهِ تطهيراً؛ إذ العصمة تقتضي عمومَ تطهيرهم مِن كلّ ما ينبغي التطهّر عنه: عُرفاً أو عقلاً أو شرعاً، والخطأ وعدم العصمة داخلٌ تحت ذلك، فيكونون مطهَّرين منه، ويلزم من ذلك عمومُ إصابتهم وعصمتهم.

• وفي رسالته في شرح خطبةٍ شريفةٍ تتضمّن آية النور:ص ٨١، قال الكرماني في قوله تعالى: (المِشْكاةُ في زُجاجةٍ)/ سورة النور:٣٥، بعد كلامٍ طويل: إنّ المشكاة هي فاطمة عليها السلام، العصمة الكليّة ومحلّ النبوّة والإمامة، وهي (عليها السلام) موقعُ جميع الصفات، ومحلّ جميع الخيرات، وحبيبةُ خالق البريّات؛ ولذا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: "فاطمة بَضعةٌ منّي"، فإنّها نبوّة وولايةٌ وعصمة، ولكلّ واحدةٍ منها مقامٌ في الخاتميّة، لا بُدّ للخاتم مِن أن يجمعها. وقد ظهرت العصمة فيها فصارت (عليها السلام) بضعةً لرسول الله صلّى الله عليه وآله، ولذا قال تعالى في شأنها: (إنّها لإحْدى الكُبَر)/ سورة المدّثر:٣٥.

وبالجملة، إنّ فاطمة (عليها السلام) هي المشكاة، وفيها مصباحُ النبوّة، كما ورد في تفسير أهل البيت (عليهم السلام).

السيد كاظم الأزري

شهادة الصديقة
(عليها السلام)

تاريخ حافل بعرض الإسلام الصحيح والصريح المتجسد في عظمى أنثى خلقها الله تعالى، إذ لم يخلق في النساء نظيرة لها، وشاءت المشيئة الأزلية الأبدية أن لن تخلق لها نظيرة أبداً.

وما طفحت به الكتب في طول تاريخ الإسلام الجليل من نصوص قيمة فريدة في شأن فاطمة الزهراء (عليها السلام) من القرآن الحكيم، و الأحاديث القدسية، والسنة النبوية المطهّرة، وتبعتها سنة المعصومين عليهم السلام. هي خير دليل على ذلك.

فقوله تعالى: (إِنَّما يُرِيدُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

والحديث القدسي الشريف- مخاطباً النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلم-: (لولاك لما خلقت الأفلاك، ولو لا علي لما خلقتك، ولو لا فاطمة لما خلقتكما).

والحديث النبوي الشريف: (يرضى الله لرضا ابنتي فاطمة ويغضب لغضبها).

والحديث العلوي الشريف- عند وفاة الزهراء (عليها السلام): (انهدّ ركناي) بجعلها ركناً له عدلاً للركن الأول رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلم).

والحديث الشريف الآخر المروي عن بعض أولادها المعصومين- عليهم السلام- عن لسانهم جميعاً:

(نحن حجج الله تعالى على الخلق، وأمّنا فاطمة - عليهاالسلام- حجة علينا).

إلى غير ذلك مما فاضت به عامة كتب كل فرق المسلمين من شتى المذاهب، في التفسير، والحديث، والتاريخ، والفقه، وغيرها مما لو جمع في كتاب واحد لبلغ الألوف... والآلاف... ولكان موسوعة ضخمة ذات مجلدات عديدة.

وقد روى النوفلي عن الصادق عليه السلام أن رسول الله قال: ما من قوم اجتمعوا في مجلس ولم يذكروا الله ولم يصلوا عليّ إلّا كان ذلك المجلس عليهم حسرة ووبالاً.

[الوافي لملا محسن الفيض ج ٢ ص ٢١٦.]

وقال صلّى الله عليه وآله: ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ؛ فإنّها تذهب بالنفاق

[ثواب الأعمال للصدوق ص ٩٦.]

وعن ابن عباس: أن النبي قال: خلق الله الناس من أشجار شتّى وخلقت أنا وعلي بن أبي طالب من شجرة واحدة، فما قولكم في شجرة أنا أصلها وفاطمة فرعها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمارها وشيعتنا أوراقها.

[ذكر الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٦٠ حديث الشجرة والفرع واللقاح والثمرة والورق وأن أصل الشجرة في جنّة عدن، وصحّح الحديث.] فمن تعلق بغصن من أغصانها ساقه إلى الجنّة، ومن تركه هوى في النار.

وفي هذا يقول أبو يعقوب البصري:

يا حبذا دوحة في الخلد نابتة
ما مثلها أبداً في الخلد من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة
ثم اللقاح علي سيّد البشر
والهاشميان سبطاه لها ثمر
والشيعة الورق الملتف بالثمر
هذا مقال رسول الله جاء به
أهل الرواية في العالي من الخبر
إني بحبهم أرجو النجاة غداً
والفوز في زمرة من أفضل الزمر

بشارة المصطفى ص ٤٩.

وروى إبن شاذان عن سلمان الفارسي أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: "مَن أحبّ ابنتي فاطمة فهو معي في الجنّة، ومَن أبغضها فهو في النار، حبّ فاطمة ينفع في مائة موطن، أيسر تلك المواطن الموت والقبر والميزان والمحشر والمحاسبة، فمن رضيت عنه رضيت عنه، ومَن غضبت عليه غضبت عليه، ومَن غضبت عليه غضب الله عليه، ويل لمن ظلمها وذريّتها وشيعتها".

[البحار ج ٧ ص ٣٨٢ في باب ثواب حبّهم] إن الله خلق نور فاطمة قبل خلق السماوات والأرضين فقيل له: أليست هي إنسية؟ قال: إنها حوراء إنسية، أودعها الله في صلب آدم و أخرجها من صلبي، فإذا اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة

[تفسير فرات ص ١٠.]

تمثلت رقيقة الوجود
لطيفة جلّت عن الشهود
تطورت في أفضل الأطوار
نتيجة الأدوار والأكوار
تصورت حقيقة الكما
بصورة بديعة الجمال
فإنها الحوراء في النزول
وفي الصعود محور العقول

من أرجوزة الحجة آية الله الشيخ محمد حسين الإصفهاني (قده).

وفي حديث الصادق: "إن الله كان ولا شيء، فخلق خمسة من نور جلاله، ولكل واحد منهم اسم من أسمائه، فهو الحميد وسمى محمد، وهو الأعلى وسمى أمير المؤمنين علي، وله الأسماء الحسنى فاشتق منها الحسن والحسين، وهو فاطر فاشتق لفاطمة اسماً من أسمائه، فلمّا خلقهم جعلهم في الميثاق فإنهم عن يمين العرش، وخلق الملائكة من نور، فلما أن نظروا إليهم عظموا أمرهم وشأنهم ولقنوا التسبيح فذلك قوله: (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ)، ولمّا خلق آدم (عليه السلام) ونظر إليهم عن يمين العرش قال: يا ربّ مَن هؤلاء؟ قال: يا آدم هؤلاء صفوتي وخاصتي خلقتهم من نور جلالي، وشققت لهم اسماً من أسمائي، فقال: يا رب، بحقك عليهم علمني أسماءهم، فقال تعالى: يا آدم هم عندك أمانة سرٌّ من سري لا يطلع عليهم غيرك إلا بإذني، قال: نعم يا ربّ، فأخذ عليه العهد بذلك ثم علّمه أسماءهم وعرضهم على الملائكة ولم يكن لهم علم بأسمائهم فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلّا ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلمّا أنبأهم بأسمائهم علمت الملائكة أنه مستودع وأنه مفضل بالعلم.

ثم أمروا بالسجود إذ كانت سجدتهم لآدم تفضيلاً له، وعبادة لله تعالى، إذ كان ذلك بحق له.

تفسير فرات ص ١١ ط النجف.

سادة لا تريد إلا رضى الله
كما لا يريد إلا رضاها
خصها من كماله بالمعاني
وبأعلى أسمائه سماها
لم يكونوا للعرش إلّا كنوزاً
خافيات سبحان من أبداها
كم لهم ألسن عن الله تنبي
هي أقلام حكمة قد براها
وهم الأعين الصحيحات تهدى
كل عين مكفوفة عيناها
علماء أئمة حكماء
يهتدي النجم باتباع هداها
قادة علمهم ورأي حجاهم
مسمعاً كل حكمة منظراها
ما أُبالي ولو أُهيلت على الأر
ض السماوات بعد نيل ولاها
من بياريهم وفي الشمس معنى
مجهد متعب لمن باراها
ورثوا من محمد سبق أولا
ها وحازوا ما لم تحز أُخراها

هيأة التحرير

رئيس التحرير
نصير الحسناوي
مدير التحرير
مهدي الفحام
سكرتير التحرير
علي الوائلي
التحرير
سجاد الفتلاوي
مصطفى القيسي
محمد الشرع
فراس التميمي
الاخراج الفني
Bahaa Alkhalaf
المصورون
كرار البرقعاي — حسين الجبوري
مصطفى الجواهري — حسين الفحام
التدقيق اللغوي
صلاح عبد المهدي الحلو
التدوين
عباس شربة
التنضيد الالكتروني
هادي العبايچي
ارشيف
فراس التميمي
التدقيق والمراجعة
اللجنة العلمية

العنوان:
جمهورية العراق/ النجف الأشرف
ص.ب: ٤٤ مكتب بريد النجف.
المحمول ٠٠٩٦٤/٠٧٨٠٧٥٢١٥٧٣
البريد الالكتروني: n@ alnajafy.com
مكتب سماحة المرجع (دام ظله):
ص.ب: ٤٢ مكتب بريد النجف.
هاتف:
٠٠٩٦٤ /٣٣-٣٣٣٤٨٨
المحمول: ٧٨٠٧٣٦٣٩٣٣
فاكس: ٠٠٩٦٤ /٣٣ -٣٦٩١٧٢
البريد الالكتروني:
info @ alnajafy.com

برعاية مكتب
سماحة آية الله العظمى المرجع
الديني الكبير الشيخ بشير حسين
النجفي (دام ظله)
info@ anwar-n.com

في ذكرى الزهراء

قصيدة للفقيد الراحل الدكتور محمود البستاني، نشرت في مجلة أضواء، العدد السادس، سنة الثالثة١٩٦٢

دمع أُذيل!!فيا كواكب،سامريه، ويا نجوم
ذريه في الأبعاد، مجاهل النجوى، يجوم
ذريه في هدبيك،.يطفر من حواشيه الوجوم
أو سمريه على المدى قطرات..لألاء..عظيم
تنسل عن قدسية بيضاء..، في الليل البهيم
حتى كأن المأتم العلوي يغتال النسيم
فيهلـ ويهوي كالفناء، يغتال النسيم
لا همس الضوء.. لا شذى يهفو..ولا شجر بهيم
عجنته مقاساة الحياة.. وأطبقت فيها الغيوم
والنكبة السوداء..تذروها بقايا من هشيم

* * *

يا غرسة الهادي تمور، تمور بالعبق الكريم
أُوليت من عبق السماء..ومن تفتحهّا العظيم
حسب الرسالة. أن طهّرك.. بعض مجراها السليم
وسنى الإمامة من نثارك يستطيل ويستديم
ليظل ينسج في الحياة ضفائر الدين القويم
ويظل يرفد واحة الأجيال.. بالخير العميم
كالنبع لم يسكت عن الجريان للرمل العقيم
ليمده..بالمعطيات وبالخصوبة والنعيم
كالشمس لم تسكت عن المد الشعاعي الرحيم
تتمسح الدنيا.. بها بيدا أفاويقا تخوم
قسماً..ودين الله، عبر المعطيات فم بسيم
نستل من الضحكة السمحاء.. تهزأ تستقيم
وعلى دروب هديرها العلوي.. لألاء عظيم

* * *

يا غرسة الهادي!! ويغسل راحتي هدير خطبة
تنسل من رشح العصور..وفي دمي مطر وتربة
غمست فيها! ما تتيه به هضاب الروح!! خصبة
ولهى!! تدق في العصور،وتستشف رؤى الأحبة
وتلم مجد الخطبة الملأى!! شذى قدس ورهبة
(الله) في هدراتها ألمحت موكبه ودربه؟!
ومحمد يهتز، يسفح في ضمير القوم عتبة
والجرح لما يندمل إني أكاد أحس ندبه
وهدرت شامخة البلاغة، والخناجر مشرئبة
حرف يسيل، وألف معذرة! وأقوى أن أصبه؟!
حرف البلاغة، من سماء الله، واستجمعت شهبه
لترنحية على سماع القوم ملحمة وخطبة

* * *

قسماً!! وأودية الحياة.. ملاعب سمحاء، رحبه
سنظل ننسج من خطى الزهراء ألف رؤى محبة
بيضاء تنثر أنثى يحضن التاريخ ركبه
جيل يموسق من هدى الزهراء مشعله ودربه
لا ولحة الفوضى، تشل خطى الحقوق المستتبة
لترجه معنى يغيم صداه في عتمات رغبة
صرعت بأبواب الشرك وسمرتها ألف عتبة
البهرج المسحور طاووس، يجر، يجر، ثوبه
وهج على مستنقع، والأعين الحولاء شربة
لا، لن نعل بهارج العقم البليد ـ ولن نعبّه
شيئاً إباحي الهوى شيئاً إباحي المغبة

لعن الله قاتليكِ.

(يَا ابْنَ آدَمَ، أَنَا غَنِيٌّ لَا أَفْتَقِرُ، أَطِعْنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ أَجْعَلْكَ غَنِيًّا لَا تَفْتَقِرْ، يَا ابْنَ آدَمَ، أَنَا حَيٌّ لَا أَمُوتُ، أَطِعْنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ أَجْعَلْكَ حَيًّا لَا تَمُوتُ، يَا ابْنَ آدَمَ، أَنَا أَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ فَيَكُونُ، أَطِعْنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ أَجْعَلْكَ تَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ فَيَكُونُ)

من هذا الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ نكتشف أنه كُلما قَرب الإنسان من رضا الله، وقرب منزلةً من الخالق المبدع كلما صار قريباً من رحى العلّية، قالِ رسول الله (صلى الله عليه وآله): "إنَّ الله (عَزَّ وجَلَّ) يَقولُ: ..ما يَزالُ عَبدي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتّى اُحِبَّهُ، فَأكونَ أنَا سَمعَهُ الَّذي يَسمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذي يُبصِرُ بِهِ، ولِسانَهُ الَّذي يَنطِقُ بِهِ، وقَلبَهُ الَّذي يَعقِلُ بِهِ، فَإذا دَعا أجَبتُهُ، وإذا سَألَني أعطَيتُهُ"، حينما يهب الباري (عزّ اسمه) تلك المنازل العظيمة لمؤمنين لمجرد أنهم أطاعوه فلا نستغربن أن جعل الله الخلق متعلقاً وموقوفاً لأجل أُناس طهرهم تطهيراً، بل وجعل أنوارهم على يمين وشمال العرش، نعم هذه هي إرادة الباري (عزّ اسمه)، ويزيد على ذلك أن جعل الملائكة تسجد لتلك الأنوار: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) فالسجود انحناء وإيصال للجبهة على الأرض.. نعم تأتي القاعدة: (لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ)، وقوله عزّ من قائل: (وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللهُ)..

فواجب الوجود أوجد الكمال الأمثل لرسوله الأعظم (صلى الله عليه وآله) ثم لعلي وفاطمة (صلوات الله عليهم) وباقي أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، فهم الأقدم والأشرف، وهم الأقرب لخالقهم، وهم حُجة الله العليا على سائر الخلق والبشر، قال سيد الخلق محمد (صلى الله عليه وآله): (خُلقت أنا وعلي من نور واحد، نُسبح الله يمنة العرش قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام)، وهكذا تتحد الأسناخ قرباً في الصفات، لتسبح له وتعظمه وتكبره وتجلّله، فهي أدرك المخلوقات وأرشدها معرفة بالخالق دون خلقه، وأصحها وأعلى كنهاً لحقيقة العبادة الحقة.

نعم، ترتفع عظمة هذا الكمال بمحور الربط بين (الإمامة والرسالة) فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) فهي علّة لغاية التكامل والطهر والقدس الذي من أجله وجد الوجود، إذ سيباهي الله بها ملائكته لكمالها الاختياري، فقطعاً _ وكما ورد _ هي من الأسماء التي علمها الله لآدم (عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء).. فـ"ما تكاملت نبوة نبي حتى أقر بفضلها ومحبتها، وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى".

وهي من اختارها الله لتكون سيدة نساء الوجود وأصطفاها، وهي المحور المقدس الرابط بين محوري الإمامة والنبوة، إذ سأل جبرائيل ربه: (يا رَبِّ وَمَنْ تَحتَ الكِساءِ؟) ليأتي الجواب: (هُمْ فَاطِمَةُ وَأَبُوهَا وَبَعلُها وَبَنوها)، فرضا وحب فاطمة حُب للرسول، وسخط وبغض فاطمة بغض للرسول، ورضا وسخط النبي (صلى الله عليه وآله) لا ينفك عن رضا وسخط الخالق قطعاً.

وعلى هذا كان وسيبقى الاعتداء على فاطمة وبيتها وقتل جنينها هو اعتداء وكفر وإساءة لجبار السماوات والأرض.. وما أحسب جريمة أبشع وأسوأ وأنذر وأقذر من هذه الجريمة؛ فلعن الله قاتليك يا زهراء.

كلمة العدد | رئيس التحرير |

naseersamy@yahoo.com

معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين (١٢٧٨)